دم الغريب

رواية

سليمة لوصيف

المثقف
النشر والتوزيع

المثقف للنشر والتوزيع
نوع العمل: رواية
اسم العمل: دم الغريب
اسم المؤلف: سليمة لوصيف
تصميم الغلاف: زياد مراس
رقم الإيداع: 2018/ السداسي الأول
الترقيم الدولي (ISBN) : 978 -9931 – 689 -44- 7
الناشر / دار المثقف للنشر والتوزيع
المدير العام / سميرة منصوري
هاتف / فاكس 033 85 65 75 06 75 49 73 86
صفحة الدار على موقع فيسبوك:
/https://www.facebook.com/elmothakaf
الموقع الإلكتروني:
www.elmmothakef.com

الطبعة الأولى 1439 هـ - 2018 م

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ أو التعديل إلا بإذن من الناشر.

كان أوّل يوم في فصل الخريف، وأنا في طريقي الى العمل، أستمتع بمشاهدة الأشجار وهي تتعرّى من أوراقها، تلك الأوراق المتناثرة في أزقّة الشّارع، تسوقها الرّياح من مكان الى اخر، معطية لونا بنيا لبساطه الذي اكتسى به بقدوم هذا الفصل، فهذا اللّباس هديّة تقدّمه الأشجار الى حيّنا كل عام.

هذا الجوّ جعل ذهني يسبح في ذكريات الماضي، أيّام كنت طفلة صغيرة، حينها كانت أحلامي بسيطة جدّا، لم تتعدّ مجال تفكيري الصّغير الذي ينقصه النّضج، والوعي الكامل لما تعرّضنا به وقتها من تعب واضطهاد، كنت أحلم بأسرة متماسكة فقط، وتمنّيت العيش مطمئنّة في جو هادئ، وكنت أحلم بأب يحتضنني ويعوّضني ما فقدته من احساس بعد غياب والدي، وكبرت أحلامي بكبر سنّي، وحقّقت جزءا كبيرا منها، ونلت الأسرة المتماسكة التي حلمت بها، لهذا كنت دائما أشعر بالفخر والاعتزاز بأسرتي الصّغيرة، التي حظيت بالسّعادة فيها منذ نعومة أظافري، بعد أن حلّ في حياتي من ساندني وأصبح قدوتي في الحياة، فزوج أمّي لم

يعاملني كغريبة في بيته، بل احتضنني وكأنّني ابنته من صلبه، لطالما كان لطيفا في تعاملاته معي، وكأنّه أبي البيولوجي.

مما بقي عالقا في ذاكرتي، صورة أبي وهو يجمع أغراضه، مستعدّا لتركنا الى الأبد كما أخبر أمّي، لم تكن تلك الأيّام سهلة بالنّسبة الى أمّي التي وجدت نفسها وحيدة بعد مغادرته، ولم تكن أقلّ صعوبة بالنّسبة لي أيضا، وأنا بنت الخمس سنوات، فقد كنت بحاجته في تلك الفترة من حياتي، فأنا لم أعش طفولتي كما ينبغي، ليس من السّهل على امرأة وحيدة تربية ابنتها لوحدها دون معيل، ودون رجل يقوم بحمايتنا.

لا أدري لماذا تذكّرت كلّ تلك الأمور، التي دفنتها منذ عدّة سنوات، لكنني لم أشعر بالحزن كما شعرت به سابقا، فالجراح التي كانت في قلبي قد اندملت، ولعلّ النجاح الذي وصلت اليه ساعدني في ذلك.

اوقفت أوّل سيّارة أجرة وجدتها في طريقي، و وجّهتها صوب المستشفى الذي أعمل به، فكلّي طاقة وحيوية لمباشرة العمل، فأنا أحسّ أنّه قد يكون يوما مميزا عن باقي الأيّام، لطالما صدقت

أحاسيسي التي اعتمدت عليها طوال حياتي، فحدسي نادرا ما كان يخطئ.

بدأنا العمل باكرا كالعادة، جلست في مقعدي مستعدة للبدء في سحب عينات دم من المرضى، لإجراء التحاليل اللازمة عليها، جرى كل شيء على ما يرام الى حين جلوس كهل أمامي، لم أعتد النظر الى الضحية قبل امتصاص دمها، لكن راودني شعور سيئ حالما ولج هذا الرجل من الباب، لم ابدي اهتمامي في بادئ الامر، لكن احساسي ازداد سوءا عند جلوسه أمامي، رفعت رأسي اليه لأكسر خوفي الذي تسرب الي على غير العادة، لأرى وجها تملؤه علامات وشم صغيرة لكنها مرئية، تبدو وكأنها رموز، وعينان وصفتهما بالشريرتين لشدة حدتهما، ما شدني أكثر هو أن كل عين اتخذت لونا مغايرا للأخرى كأنهما اتفقتا على أن ترتدي كل واحدة منهما لونا يناسب شخصيتها، طلبت منه في هدوء يغطي زوبعة من التساؤلات والخوف في نفس الوقت، أن يكشف عن ذراعه لأتمكن من سحب الدم منه، تكلم مازحا بلهجة سخرية وبصوت خشن، أن دمه ليس كدم البشر، وأنه غير عادي.

تجاهلت كلامه على أساس أنه لاحظ ارتباكي من مظهره، لكن هذا الارتباك كاد يفضح خوفي لما رأيت ما وشم على ذراعه وعلى طول عرقه الدموي، كتابة تمتد من مرفقه الى معصم ذراعه، وكأنها طلاسم أو كلمة سر لا يفهمها أحد غيره، عجيب! ليس هذا بالأمر المألوف في مجتمعنا المتحضر ظاهريا، والمتدين الى حد ما.

لما أكملت مهمتي تنفست الصعداء لأنه وأخيرا غادر حرمي، وغادرتني كل تلك الأحاسيس الدخيلة التي قد سببها لي ذلك الرجل، وعادت طمأنينتي وراحتي التي افتقدتهما منذ دخوله علي.

قامت زميلتي بجمع الأنابيب التي تحتوي على عينات الدم الخاصة بالمرضى، ووضعها في جهاز الطرد المركزي (centrifugeuse)، بغية فصل المصل عن الكريات الدموية الحمراء، لكن عند اخراج الأنابيب من الجهاز، تفاجئنا عند رؤية دم ذلك الغريب متحجرا على خلاف بقية الأنابيب، تحجر رغم احتواء الأنبوب على مضاد التخثر (EDTA)، لم يكن ذلك بالأمر

الطبيعي في مخبرنا الطبي، لأننا نتأكد في كل مرة من صلاحية الأنابيب وكل المواد الكيميائية المتوفرة لدينا قبل البدء في العمل.

اقترحت أن نضع الأنبوب في حمام مائي بدرجة حرارة 37°، ثم نقوم بإعادة تدويره، وكان الأمر كذلك، أعدنا تدويره للمرة الثانية لكن هذه المرة بمدة أطول وبسرعة تدوير أعلى من الأولى، لم يكن هناك داع لكن تعاملنا مع الأمر بشيء من الخصوصية والحذر على أساس أنها حالة شاذة وغير مسبوقة.

أكملنا كل التحاليل، وسجلنا النتائج اللازمة في الخانة المخصصة لكل مريض، عدى دم الغريب الذي لايزال دمه يرقص التانغو مع الة الطرد المركزي.

دقت ساعة مغادرة العمال للغداء وأخذ قسط من الراحة، وتطوعت أنا لأكمل ما كانت زميلتي تحاول القيام به حيال ذلك الدم الغريب، أوقفت الجهاز لأريح رأسي من الصداع الذي سببه لي صوته المزعج، فهو لم يتوقف عن العمل طوال صبيحة اليوم، وضعت يدي في جيب قميصي لأتفقد هاتفي الذي وضعته في وضع صامت، حتى أتفادى الازعاج أثناء العمل، وعند ادخال يدي في

الجيب، لمست ورقة مطوية، أخرجتها وأنا مبتسمة ظنا مني أنني قد حظيت ببطاقة شحن رصيد من والدي، لكن سرعان ما اكتشفت أن ظني لم يكن في محله، فالورقة رسالة مكتوب عليها: * دمي هدية مني اليك*.

أخرجت الأنبوب بالملقط من الجهاز، وكان كبادئ الأمر جامدا، وما ان لمسته حتى صار الدم لزجا بداخله، وضعته في حامل الأنابيب (Portoir) فاذا به يعود الى سيرته الأولى، وعند ملامستي اليه يعود الى لزوجته الطبيعية، فأدركت حينها أن الدم يتأثر بملامستي له، لسبب أجهله وهذا ما علي معرفته من هاته اللحظة.

وضعت الأنبوب في حقيبتي والرسالة كذلك، وعند عودة زميلاتي الى العمل أخبرتهم بأنني قد تخلصت من الأنبوب، فالدم غير صالح لإجراء التحاليل عليه، بحجة أن الكريات الحمراء قد انفجرت وتحللت (Hémolysé)، وأنه لا يصلح للفحص.

قمت بتفحص الملف الطبي الذي ندون عليه عادة المعلومات الخاصة بالمرضى، كالاسم واللقب وأحيانا رقم الهاتف تحسبا

لاحتواء دم المريض على أمراض معدية، والقيام بالإجراءات اللازمة لعزله تفاديا للعدوى. فهذه الاجراءات الوقائية التي نقوم بها، الهدف منها ضمان سلامة الأصحاء المرافقين للمرضى، و حرصا على مصداقية نتائجنا المخبرية. لكن الكارثة أنني لم أجد شيئا، لم أجد اسم الغريب ولا حتى التحاليل التي رغب في اجرائها، تعجبت لذلك لأننا نحرص في التدقيق في مثل هاته الأمور مع المرضى، فهذا الأمر لم يكن مريحا منذ البداية بالنسبة لي.

عدت الى البيت مسرعة، دخلت غرفتي على عجلة، بعد إلقاء السلام على أمي التي كانت منهمكة في ترتيب البيت، أول ما تبادر على ذهني، هو أن أكلم صديقا لي نحن بصدد اجراء بحوث حول الطفيليات والجراثيم، ودراسة الأوبئة البيولوجية بالأخص، وذلك ضمن اعداد مذكرة تخرج للدكتوراه.

انفجر زميلي خليل ضاحكا، حالما أكملت سرد القصة عليه، وأخبرني أنه لاحظ حماستي الزائدة باكتشاف نوع جديد من الأمصال الذي قد يعتبر قنبلة نووية في علاج الأمراض والأوبئة

الجرثومية البيولوجية، وأنه يحلم مثلي بإحداث ثورة تقدم في مجال الطب العالمي تحت لواء مكتشفين عرب، وأضاف قائلا أن اكتشافنا لنوع جديد غير مسبوق من الطفيليات من المفروض أنه لا يؤثر على عقلي ويودي بي الى الجنون بهذه السرعة، وأضاف ضاحكا أنهم مازالوا بحاجتي، وأن فقداني لعقلي في مثل هذا الوقت سيؤثر حتما على بحثنا بصفة عامة وعلى مستقبله بصفة خاصة.

أغلقت سماعة الهاتف دون أن أتفاجئ من ردة فعله ومن رده الذي كان متوقعا، باعتباري أكثر من المزاح وأختلق الخرافات في مخبر أبحاثنا، لا لشيء الا لتغيير جو الدراسة، لنعود أكثر حيوية بعد ضحكات ومقالب قد غيرنا بها من جو مخبرنا.

ارتديت حذائي وأعلنت خروجي من البيت وأنا على عتبة الباب، لأتوجه مباشرة صوب المخبر أين سأجده في انتظاري ككل يوم، وعند دخولي عليه لاحظ جديتي التي كانت تسيل من كل جزء في وجهي، تجاهلت وجوده واتجهت الى خزانتي لأرتدي بدلتي الخاصة المقاومة للجراثيم، التي نستعملها عادة في دراسة علم

الأوبئة والتشريح، أخرجت قبل ذلك الأنبوب لأثبت له وبصمت يطبق على فمي أنني صادقة في كل كلمة قد قلتها له قبل قليل، أشرت اليه بالأنبوب وقد كان الدم به لزجا، وهذا واضح له تماما، لما قلبته بيدي يمينا ويسارا، ثم مددت يدي اليه ليمسكه، وهنا فتح خليل فمه من الدهشة، والتفت الي والحيرة قد نالت منه.

- كيف ذلك؟ أيعقل أن كل ما أخبرتني به كان صحيحا؟

أكملت ارتداء بدلتي وطلبت منه أن يفعل مثلي ويرافقني لأن هناك عمل كثير بانتظارنا.

حالما أردت الشروع في تحليله تذكرت الرسالة * دمي هدية مني اليك*، فقمت بأخذ كمية من الدم في أنبوب أخر واحتفظت بها في حقيبتي وبدأنا العمل على العينة الغريبة، واقتسمنا العمل باعتبار أن الدم يتجمد اذا لمسه أحد غيري.

أظهرت النتائج المبدئية للعينات المتحجرة وضعا غريبا يخص الكريات الحمراء، حيث انشطرت كل كرية الى نصفين لتلتحم بها أخرى في وضع غريب غير مسبوق، مما أدى الى حدوث تراص غير متناهي للكريات الحمراء ضمن سلسلة غريبة الشكل.

أما العينات التي تكفلت بفحصها، فكانت طبيعية الى حد ما، وذلك بخلوها من أي أمراض معدية أو فيروسية، لكن الغير طبيعي أن بها اشعاع غريب لم أفهم مصدره، الا أنه يتوهج بمجرد ملامستي للصفيحة الزجاجية الحاملة للعينة الدموية، وكأن هناك تفاعل بيني وبين دم الغريب، فأدركت أن هناك سرا يحوم حولنا أنا و هذا الدم، فالهدية مرتبطة بي ارتباطا وثيقا مادامت تتأثر بملامستي لها، فلربما هذا الدم خلق ليكون لي، وهذا الأمر قد أثار فضولي ثانية، وزادني جرعة من الأدرينالين.

- سليمة! ان هذا الدم في الأساس كان موجها اليك، وليس لأحد غيرك.

هذا ما استطاع زميلي خليل افادتي به، وأثار بذلك حيرتي.

لم اختارني الغريب أنا بالذات؟

و ماذا سأفعل بهذا الدم كونه هدية غير طبيعية؟

وما الذي ينتظرني في الأيام المقبلة؟

كل هاته الأسئلة أثارت خوفا وهلعا في نفسي من ناحية، وفضولي لكشف السر من ناحية أخرى.

عدت الى البيت في وقت متأخر من الليل، بعد تأكدي من أن العينة لا تحتوي على فيروسات أو أمراض معدية كما كنت أتوقع. وعند طريقي الى البيت و بالضبط من الدقيقة التي نزلت بها من سيارة الأجرة أحسست أن هناك من يتبعني، فزدت من سرعتي لكن عبثا أحاول ذلك، فكأنني أرجع بالخطوات الى الخلف لا الى الأمام.

دخلت البيت مهرولة صوب غرفتي، و أخرجت الأنبوب لأضعه فوق طاولة كتبي لعلي أجد حلا لهذا اللغز الذي أثار فضولي أكثر من اللازم، وبينما أنا كذلك اذ دق باب غرفتي.

- من بالباب؟
- افتحي سليمة هذه أنا (انها أمي).
- تفضلي بالدخول أمي، فالباب مفتوح.

- وصلك هذا الطرد اليوم، أظن أنه مستعجل، حاولت الاتصال بك لكن هاتفك كان مغلقا، ماذا به يا ابنتي؟ يبدو ثقيلا وكأنها هدية من صديق ما هههههه
- بالله عليك يا أمي، أهذا وقت المزاح الأن! ومنذ متى وأنا أتلقى هدايا من الأصدقاء؟
- حسن، أتركك الآن لتغيري ملابسك والتحقي بنا فالعشاء جاهز فوق الطاولة، نحن بانتظارك عزيزتي لا تتأخري.

حال مغادرة أمي الغرفة قمت بفتح الطرد، واذ به كتاب يبدو قديم العهد، أوراقه قديمة ورائحتها كذلك، لطالما احببت هذه الرائحة في الكتب العتيقة، لكن ما شد انتباهي هو عنوانه *ترانيم الدم فوق أسطح الكنوز*.

غريب ما هذا!؟ أينقصني لغز اخر؟

وبينما كنت اتصفح الكتاب الذي لم أفهم منه الا عنوانه، فقد كتب بطريقة غريبة ولغة لم أفهمها، ولم يسبق لي وأن رأيت مثلها في حياتي، قلبت صفحاته الواحدة تلو الأخرى، فوجدت ورقة مطوية وسطه، أسرعت بفتحها وكان مكتوب عليها كلمة السر تلك *

دمي هدية مني اليك*، حينها أيقنت أن مرسل الكتاب هو ذلك الرجل الغريب.

لم يفعل هذا بي؟، وما غايته من كل هذا؟ وكيف وصل الى عنوان بيتي؟ وماذا عساي أفعل باللغزين الدم والكتاب؟

اجتاحتني موجة من الأسئلة اللامتناهية، وغرق تفكيري في دوامة من الحيرة والفضول، أيمكن أن أكون في حلم ؟ وهل جننت من فرط الدراسة كما كانت تقول لي أمي دائما؟

ربما يجب علي أن أنال قسط من النوم، وفي الصباح أرى ما يمكن فعله حيال هذا اللغز.

ذهبت لتناول العشاء وأخذت بعدها قرصا منوما كنت قد تعودت على تناوله في الليالي التي يهجرني فيها النوم، ويرفض النعاس مراقصة جفوني، وودعت مغامرة اليوم وأعطيتها موعدا بالالتقاء فجر يوم غد ان شاء الله ان كنت من الأحياء.

في اليوم التالي نهضت مسرعة، وارتديت ملابسي بسرعة البرق ككل يوم، لأن الوقت قد تأخر، فالفراش يرفض تركي كل صباح،

ولن يتركني حتى أقرر أنا اقتلاع نفسي منه لكن بعد أن يتأخر الوقت، وأغادر البيت دون أن أتناول فطوري كالعادة.

ركبت سيارة الاجرة وهي فارغة على غير عادتها خاصة في هذا الوقت من الصباح، استأذنني صاحب السيارة بجلب كوب من القهوة، فأشرت اليه بالموافقة، وعند مغادرته ركب رجل الى جانبي، يااااا الله، انه الغريب، اقترب مني بينما تجمدت أنا في مكاني حالما عرفت أنه هو، والله لو اقتلع جلدي و سلخني لم أكن لأحس شيئا من شدة الخوف والتخدر الذي استعمر كل جسمي.

اقترب من اذني، وهمس لي بصوت أجش قائلا: اهلا عزيزتي، التقينا مجددا كما ترين، دمي لم يحتج الى كل تلك التحاليل، هو كنز لو تعرفين.

في هذه اللحظة تمنيت أن استطيع اخباره بأن يأخذ كنزه ويغادر عالمي وتفكيري، لكنني مخدرة لا استطيع تخليص نفسي من ذلك الوضع.

أضاف الغريب قائلا بأن هناك الكثير من الأشياء والمفاجئات التي تنظرني، وأننا سنلتقي كثيرا في الأيام المقبلة، ونصحني بأن

أحضر نفسي وأن أتفقد بريدي لأنه سيستمر بإهدائي أشياء لها علاقة بالدم السحري ذاك، وأردف قائلا: اقرئي الكتاب جيدا وتذكري دائما عزيزتي أن * دمي هدية مني اليك*

رجع سائق سيارة الأجرة في نفس الدقيقة التي غادرني فيها الغريب، أحسست بأنني قد أكون الوحيدة التي رأته، لكن السائق تذمر من مغادرته للسيارة قائلا: ما بال الرجل غادر لما رآني!؟

ألا يرغب أحد بالذهاب معي اليوم!؟ ماذا حدث للناس في هذا الصباح!؟

لم أرد على تساؤلاته وتذمره، لأنني كنت محتاجة أكثر منه لمن يجيبني على تساؤلاتي ويحل ألغازي التي بدأت باستقبالها من صبيحة يوم أمس الى حد هذه الدقيقة.

أعطيت السائق أجرته، تعويضا له على نزولي من سيارته، لأنني قررت العودة الى البيت، وعند وصولي دخلت غرفتي مهرولة وغطيت نفسي في سريري، لعل البرد والقشعريرة التي تسري في جسدي تغادرني، وكأنني قد تعرضت الى انخفاض كبير في نسبة

السكر في دمي (Hypoglycémie)، وربما ارتفاع ضغطي الدموي أيضا، تحت تأثير الصدمة و الخوف معا.

أخذت قرصين من الحبوب المنومة، ليس انتحارا مني ولكن هروبا من أحداث اليوم، لعل النوم يخفف عني صدمتي ويجعلني أكثر هدوء فيما بعد. نمت وأنا أرتجف فقد أرعبني الغريب، لدرجة أنني أحسست بقشعريرة ملأت سائر أعضاء جسدي، وحتى بعد أن غطيت نفسي بكل تلك الأغطية، لم أتخلص من تلك الرعشة، لكنني بنومي عشت أسوء شعور أيضا، ربما أسوء من التقائي بالغريب. لقد تعرضت الى الجاثوم على هيئة ذلك الغريب البائس، لم أستطع الصراخ، وحتى وان صرخت فلن يسمعني أحد، فقد أصابني شلل النوم (الجاثوم) وأنا نائمة، لم أستطع فعل شيء، لكنني وأنا أقاوم بدأت باستحضار أية الكرسي، فأخذت بقراءتها، وفي كل مرة أتلوها فيها، أحس بالراحة وأحس أن مفعول الجاثوم قد بدأ بالنقصان، الى أن غادرني نهائيا، فاستفقت من نومي وأنا أكثر تعبا من ذي قبل.

توجهت الى المطبخ وأنا أجر رجلاي، اللتان عجزتا عن حملي، وحمل كل تلك المتاعب والمخاوف التي كنت أحملها معي أينما ذهبت. شربت كوبين كبيرين من القهوة، طالبة بهما طلبا حثيثا لفطنتي وبعض الشيء من الذكاء الذي كنت أتصنع به وسط زميلاتي، علهما ينقضانني مما أنا في.

فراودتني عدة أفكار، كأن أعرض الدم على أستاذي البروفيسور الذي لطالما عرض على المساعدة في أبحاثي، ويسهل على اجراءات اخضاع الدم الى الفحص الجيني النووي (ADN)، فلربما أجد شيئا في خريطته الجينية، يزيل لبس القضية، لكن مثل هذه التحاليل تحتاج الى عدة تراخيص في بلادنا، وكأننا سنقوم بصنع قنبلة نووية.

وفكرت أيضا أن أعرض الكتاب *ترانيم الدم فوق أسطح الكنوز*، على خبير أو عالم في اللغات القديمة، أو ربما اثار ان صح اعتقادي، فأنا أظن أنني سأحظى ببعض المعلومات التي قد تفيدني بمعرفة ماهية الكتاب ومضمونه.

وبعد كل هذا التفكير، وكل هاته الاقتراحات التي زودني بها عقلي المضطرب، أحسست بنوع من الطمأنينة التي اشتقت اليها حقا.

التقطت هاتفي ولم أجد نفسي الاّ وأنا أشكل رقم صديقي ومساعدي في البحث خليل، الذي فارقته أخر مرة، وتركت علامتا استفهام وتعجب كبيرتين فوق رأسه، وأقنعت نفسي بأن أزيد عليه الحمل قليلا وأخبره بما جرى صبيحة اليوم، فعليّ استغلال معارفه وأصدقائه، واختيار الأكثر ثقة من بينهم، والأكثر قدرة على كتم السر.

- ألو خليل كيف حالك؟
- أنا بخير، كيف حالك أنت سليمة؟ لماذا لم تأت اليوم الى المخبر؟ هل للدم علاقة بتغيبك اليوم؟
- خليل، كف عن الثرثرة وطرح الأسئلة التي ستعرف الاجابة عنها عندما تأتي الآن الى البيت.
- الآن؟!
- سأنتظرك، لا تتأخر.

وأقفلت السماعة حتى أخضعه الى الأمر الواقع، فخليل يصعب اقتلاعه من المخبر، وخاصة اذا ما ألصق عيناه بعدستي المجهر الضوئي، فهو ينغمس تماما في العالم المجهري، لطالما شبهته بالبكتيريا ايشيريشيا كولاي (Escherichia coli)، لكثرة تعلقه بها والبكتيريولوجي (Bactériologie) بصفة عامة.

بعد حوالي نصف ساعة، وكما عددت الوقت تماما لوصول خليل، دق باب البيت، واستقبلته أمي بضحكاتها كالعادة، باستقبال حار ينتهي بقرصة على الخد، أحر من قرصة النحلة، أدام الله وجودك فوق رؤوسنا أماه.

قدمت لنا أمي القهوة وانصرفت، فجلبت الكتاب حينها وأعطيته لخليل، وقصصت عليه كل ما حدث، ولم أضيع أيّة دقيقة في طرح تساؤلاتي، واقتراحاتي وافتراضاتي لكل ما هو آت.

كان خليل مستمع هادئ كما عهدته، فهو يفكر ويحلل الأحداث بسرعة وبدقة، وعند اكمال ما بجعبتي من كلام، ضحك خليل وقال:

- سليمة أنت في موقف صعب، اما أن تنتهي هذه القصة بسبق علمي، تحققين به احلامك، ولا تنسي حينها العبد الضعيف الذي أمامك هههههه، أو ينتهي بفقدانك لعقلك الذي لم يتبق منه الكثير، ولحاقي بك في أسرع وقت، فاحجزي لنا مكانين من الأن في مستشفى الأمراض العقلية.
- خليل، كفاك سخرية، هذا أمر جدي يحتاج الى أدمغتنا نحن الاثنان، والى معارفك الذين تفتخر بهم أمامي كل يوم، فأنا أظن أنه قد حان وقت التعرف عليهم، ان كانوا موجودين أصلا.
- سليمة، اقترح أن نقتسم البحث، تولي انت البحث حول الدم، باعتباره يتفاعل معك، ودعي لي أمر الكتاب، هكذا نربح القليل من الوقت ونهتم ببحثنا العلمي في آن واحد.
- حسن كما تريد يا خليل، لكن احرص على أن يكون الأمر سرا بيننا، ولا تحدث به الا من كنت تعرفه معرفة جيدة، وتثق فيه ثقة كبيرة.

- تمام، لكن دعينا نبدأ البحث من الأن ولنجرب البحث بالأنترنت، وان لم نجد شيئا فهناك من نلتجئ اليه ليحل رموز الكتاب، فلدي صديق أجنبي باحث في علم الاثار واللغات القديمة ،أتوقع بأنه سيساعدنا وبكل فرح أيضا، فنحن على اتصال دائم ببعض، و قد استفدنا من بعض كثيرا، من خلال تعارفنا وتبادل الثقافات فيما بيننا.

أخبرني خليل في السّابق بأنّ صديقه الأجنبي قد طلب منه زيارة اثار بلادنا، واخذ صور لها وارسالها اليه، سواء كانت بالمتحف أو أثرية منتصبة في اراضي بلادنا، فخليل رجل يعول عليه في مثل هاته الأمور، فهو لا يخيّب من قصده ابتغاء اخذ العلم.

وافقت على طلب خليل بالاتصال به، فهو قد أثنى عليه وزاد في الثناء لدرجة أنني خلته يتحدث عن نفسه، لكن بغرور زائد هذه المرة. شعرت بالراحة حينها لأننا قد نجد عنده ما يسد ثغرات اللغز ويحل لنا بابا من أبوابه لنكتشف نية وغاية الغريب من كل هذا.

لم نجد شيئا مفيدا في صفحات الأنترنت، وحتى المواقع التي قد نحصل على معلومات منها كانت غير متاحة لجميع الفئات من الناس، بل كانت لطبقة العلماء الاجانب الذين وضعوا معلوماتهم ونتائج بحوثهم ومنعوها على الطلاب والعلماء العرب، ورموا لهم في المواقع بما لا يسمن ولا يغني من جوع، بل أضافوا ما يفسد أخلاقهم ويزيغ أعينهم بعروض اشهارية قليلة الأدب.

اتصل خليل بصديقه بالسكيب (Skype) ومن حسن حظنا أننا تحصلنا عليه، وقبل الحديث معنا على الفور، ولم يدعنا ننتظر، بينما كان خليل يقص عليه القصة كما قصصتها عليه أولا، أخذت أمتع ناظري بكمية الكتب الهائلة التي كانت تملئ المكان، وكأن السماء قد أمطرت عليه كتبا، لم تكن الغرفة مرتبة، بل كانت فوضى الكتب تعم المكان، لكن هذا الجو راق لي، فلطالما تمنيت أن أحظى بمكتبة في بيتي، تضم أهم الكتب العلمية والطبية، وقواميس وموسوعات، وأيضا الكتب الأدبية، من دواوين شعرية وكتب دينية، وروايات وقصص علمية. انه انسان محظوظ هذا الباحث، لامتلاكه هذا القدر الكبير من الكتب.

ثم انتبهت الى أن هيئة الباحث لا تختلف كثيرا عن غرفته، فشعره المجعد الطويل ذكرني بشعري لحظة نهوضي من النوم، فكل خصلة فيه تبحث في السماء عن تردد قناة ما، فهي تشبه الى حد بعيد قرون الاستشعار.

هذا الباحث الاجنبي اهتم بتحصيله العلمي وأهمل مظهره، ومظهر المكان الذي تربّع فيه، على عكس الباحثين العرب الذين يهتمون بأنفسهم أكثر من اهتمامهم بأبحاثهم ومشاريعهم، كمظهر من مظاهر البريستيج الضرورية لاعتلاء منصة الشهرة، والسير فوق البساط الأحمر.

لاحظ خليل شرودي واندهاشي مما رأيت، فوكزني علّه يوقظني مما أنا فيه، فانتبهت له أخيرا، فطلب مني الباحث حينها أن أحضر الكتاب ليراه، ففعلت على الفور، لكنه صعق لمّا رآه، وجحظ بعينيه وكأنه يريد الانقضاض عليه لولا الشاشة التي كانت تمنعه من ذلك.

وسأل على الفور:

- من أين تحصلتم عليه؟ وهل حصولكم عليه مرخّص أم لا؟ ومع من تتعاملون أنتم؟
- على رسلك! أجابه خليل، هل نسيت كل ما قلته لك بهذه السرعة؟ أو أن الزهايمر قد أصابك من فرط الصدمة، هذا الكتاب هدية من الغريب كما أخبرتك سابقا و القصة صحيحة بأكملها ولم نخفي عنك شيئا من حيثياتها.
- يال الهول، يال الهول، يا الله

تبادلنا أنا وخليل نظرات الدهشة، وأخذنا فاصل دام عدة دقائق من الصمت، الى حين عودة الباحث الى وعيه، لعله يستعيد رشده المسكين ويخبرنا عن سبب دهشته وصدمته الكبيرتين.

بعد مدة من الصمت، وتبادل علامات الاستفهام والتعجب، نطق ذلك الباحث أخيرا، مخبرا ايانا أن الكتاب قطعة أثرية مقدسة، وأنه كنز اذا توفرت فينا الصفات اللازمة لاستغلاله، وأنه وحسب الدراسات القديمة، فان الكتاب يروي اسطورة، قد تكون حقيقية وذلك في الزمن الذي كان فيه سطح الأرض مليئا بالكنوز، وأن الانس والجن قد تعاهدوا على حراسة تلك الكنوز (لؤلؤ، ذهب،

فضة واحجار كريمة)، ثم حدث وان ابتلعت الأرض تلك الكنوز، لكن ذلك العهد لايزال قائما بين الثقلان (الانس والجن) الى غاية يومنا هذا.

وأضاف قائلا أن المعلومات المتوفرة لدى الغربيين، حول هذا الكتاب تقتصر على معلومات زودهم بها علماء الاثار القدامى ، العرّافين ،و المشعوذين والاساطير المتداولة قديما، أما بالنسبة للمسلمين فانهم لم يكثروا الحديث حول هذا الموضوع، مخافة نشوب مجزرة دامية بحثا عن الكنوز، فالتزموا بالصمت والتكتم على الموضوع، واغلاق باب البحث والجدل فيه، وأخبرنا أيضا أننا لو بحثنا عن معلومات حول هاته الكنوز المدفونة، لدى البدو أو القانتين في الاراضي التي يقل فيها البشر، سنجد معلومات تطابق تلك المعلومات التي زودنا بها، قد توارثوها عن أسلافهم القدامى، دون وجود وثائق تثبت صحة ذلك، وهذا هو سبب عدم تعرفنا على اللغة التي كتب بها الكتاب، ولكن عنوانه يثبت صحة ما قال الى حد ما، فهو يشرح مضمونه بكل بساطة * ترانيم الدم فوق أسطح الكنوز*، والكتاب يحتوي على حد تعبيره على الطقوس اللازمة لإخراج الكنوز من باطن الأرض، وذلك بموافقة

الطرفان (الانسي المختار لحراسة الكنز، والجني المكلف بذلك أيضا)، و أضاف الباحث قائلا:

- هنيئا لكما بكنز الجن والانس، وانتبها فما دام الكتاب بحوزتكما، فأنتما في الطريق الصحيح الى الثراء ونيل أجود أنواع الكنوز، بما تحمله الكلمة من معنى، وعليّ تحذيركما من شيء مهم، ان هذا الكتاب نادر وهو من الاثار العريقة، ويجب عليكما الحفاظ عليه والتستر على الموضوع، واخفاء الأمر على السلطات، لأنه سيجلب لكما العديد من المتاعب، ويفتح عليكما بابا من المساءلات، التي قد تنتهي بقطع رأسيكما، وأنه من الممكن تواجد أناس ذي نفوذ وسلطة، هم على دراية تامة بالقصة الحقيقية، و ربما هم الآن بصدد البحث عن الكتاب، ولو أنهم يشعرون بوجوده معكما، ستتم ابادتكما لو كلفهم الأمر ذلك، طلبا للكتاب وما سيحققه لهم من أرباح ومن ثراء فاحش أيضا، عزيزاي ان الكتاب هو أكبر غنيمة قد تعرفها البشرية لو عرفتم كيفية استغلاله.

بعد كل هذا الكلام والتوضيح من العالم، أقفلت الخط وأنا لا أعي ما أقول، ولا أدرك هل أنا في حلم أو حقيقة، وفجأة سقط خليل أمامي مغشيا عنه من أثر الصدمة، تركته مرميا أمامي، فلا وقت أضيعه في إيقاظه، حملت الكتاب واحتضنته، وأغمضت عيناي، متخيلة نفسي أنني قد حظيت بالكنز، وأنني قد أصبحت أميرة زماني، وحلمت أن خليلا قد أصبح عالما وهذا بمساعدتي طبعا، فلولا نفوذي لبقي في ذلك المخبر الذي تنقصه آلاف المتطلبات، لإجراء أبحاثه، هذا في حالة استفاقته من الغيبوبة التي هو فيها الآن.

أعادني صوت خليل الى الواقع وهو يقول: من أنا؟

- تبا لك خليل، ألا تستطيع تركي أحلم قليلا، عد الى غيبوبتك أو أعدتك اليها أنا.
- سليمة! (وهو مستلقي على أرضية الغرفة، محدقا بسقفها)، نحن على وشك الحصول على كنز، وكأنني في حلم عزيزتي، سنصير من أغنى الأشخاص بل من أكثرهم ثراء، سمعتي ما قاله صديقي الباحث؟

- خليل عزيزي، انهض واجلس على الكرسي أمامي، وفكر معي كيف نفك ألغاز هذا الكتاب، ترى ماذا ينقصنا من مفاتيح لذلك؟
- لا تنسي أن الغريب قد أخبرك بأن هناك فرص كثيرة لتلتقيا مع بعض، وأخبرك أيضا بأن تتفقدي بريدك كل فترة وأخرى، فلا تنسي أن تسلمي عليه نيابة عني، فأنا أحبه الآن أكثر من أي شخص.
- تحبه! أقسم أنك لو قابلته لبللت نفسك خوفا مثل الأطفال، قال أحبه قال هههههه
- ربما! فلطالما أحببت البكتيريا أكثر من البشر، لكن الآن تغيرت نظرتي بخصوص بني البشر، ربما أصابتني حمى الذهب يا فتاة.
- خليل! ماذا لو لم يكن في الأساس انسيا، ربما كان من الجن أو ما شابه.
- لا يهم من يكون، المهم أنه اختارنا من بين جميع الناس أيتها الذكية.
- قل اختارني، فهو أبدا لم يذكر اسمك لو تذكر هذا.

- نعم أذكر، لكنك أدخلتني في المغامرة، يكفيني أن أكون شريكك في القصة والغنيمة أيضا.
- خليل، ماذا تخبئ لنا الأيام القادمة يا ترى؟

بقيت أنا وخليل نمنّ بعضنا البعض بشيء من الأحلام والأماني، ونضحك تارة ويتملكنا شعور بالخوف مما ينتظرنا، ونحترز مما سيحدث تارة أخرى، وبينما نحن كذلك، اذ دق باب الغرفة.

- تفضل بالدخول.
- أعتذر على المقاطعة، لكن وصلتك هذه الرسالة الآن يا ابنتي.

نظرنا أنا وخليل الى بعض وأخذنا نفسا عميقا، ثم أخذت الرسالة منها وغادرت الغرفة.

- خليل! لقد بدأنا بالإثارة يا رجل.
- اسرعي بفتحها، ربما تحمل مفتاحا جديدا للغز.
- تبّا، هي دعوة من الجامعة لحضور محاضرة الدكتور هنري (عالم الأحياء)، التي كنا ننتظرها منذ سنة، أهذا وقتها الآن؟!

- يااااااا الله، أحس انّ مستوى الادرينالين قد ارتفع، لو أن احدهم يفتح الباب الآن، سأسقط مغشيا عني هههههه
- دعنا نكتفي بهذا القدر من البحث، فما توصلنا اليه اليوم كاف ليجعلنا نفكر جيدا قبل القيام بأية خطوة، وربما انتظار ما سيجود به الغريب علينا من أشياء هو الحل الأمثل حاليا.

بعد انتهاء جلستنا، دعت امي خليل الى تناول العشاء، فهي قد أعدت الطاولة والجميع جاهزون للبدء فيه، لم نحس أبدا بمرور الوقت، فرغبتي باكتشاف السر قد احتضنتني وأغرت كل أحاسيسي التي قد عرفت في الآونة الاخيرة اختلاطا و تشابكا من الشعور بالخوف والتوتر الى الشعور بالفضول والحماس، ربما لانتقالي من مجال معاينة الميكروبات والبكتيريا بالمجهر، وامتصاص الدماء وتحليلها طبيا، الى الدخول في مغامرة أنا قد ولجت من بابها صبيحة يوم أمس لحظة امساكي بدم الغريب الى استلامي للهدية منه ومقابلتي له صبيحة اليوم.

بعد تناولنا للعشاء، اقتربت من خليل وقلت له بصوت خافت:

- هيا، لملم نفسك وانصرف، علينا التحضير لمحاضرة الغد، والاهتمام ببحثنا قليلا، فلربما يقوم الدكتور هنري بمقابلتنا وجها لوجه، فقد يساعدنا في بحثنا الذي تعبنا فيه.
- تمام، الى الملتقى غدا ان شاء الله يا أميرة مملكة الغريب هههههه
- اذهب، تبا لك هههههه

وأسرعت الى غرفتي لأعمل قليلا على بحثي العلمي، حتى أتفادى تراكم الأشغال، طرقت أمي الباب ومن شدة انهاكي لم أسمع استئذانها بالدخول، ولما لمست كتفي لتنبهني الى كأس الحليب الذي قد وضعته فوق الطاولة، انتفضت من شدة الخوف، لكنها هدأت من روعي وأخبرتني بأنها قد استأذنت قبل الدخول، لكن الغريب جعلني أشككك حتى في هويتها، فلربما ذلك الرجل الغريب قد تنكر في جلد أمي.

خلدت الى النوم بتناولي قرصا منوما كالعادة، فأنا قد أدمنته أكثر من أي فترة قد مررت بها في حياتي، فهو يجعلني أفارق دراستي و مغامرتي بهدوء، وأودع كل أحداث يومي الى موعد أظنه ليس ببعيد ان شاء الله.

في اليوم التالي، التقيت بخليل عند مدخل قاعة المحاضرات، تبادلنا التحية ثم توجهنا الى مقعدينا، لكنه لم يكن مرتاحا كما ألفته، من الواضح أنه لم ينم ليلته، فعيناه تحيط بهما هالة زرقاء وشحوب من التعب وقلة النوم.

مرّت المحاضرة على ما يرام، وحظيت أنا وخليل بإلقاء كلمة أمام الجمع الغفير من الأساتذة، والدّكاترة العرب والأجانب، وكذا العلماء الذين تمت دعوتهم لحضور تلك المحاضرة.

نلنا يومها استحسان ضيف الشرف، الدكتور هنري عالم الأحياء، الذي وعد بدعم أبحاثنا وأبحاث بعض الباحثين الذين أثبتوا تفوقهم بجدارة في تلك المحاضرة، وكذا التكفل باحتياجاتنا المخبرية، من أجهزة ومحاليل و مواد كيميائية وأيضا العينات التي قد نحتاج

اليها في الحرم الجامعي، دعما منه للأبحاث العلمية، ودعما للعقول العبقرية كما وصفنا في كلمته التي القاها علينا.

كان ذلك أول انتصار لي ولخليل، بعد تعب وكد لإحراز هدف لصالح مستقبل بحثنا العلمي.

اغتنمت الفرصة وقدمت طلبا للسماح لي بإجراء فحوصات على العينات بتحليل ال ADN، مبرزة سبب طلبي بأن انتشار الفيروسات في الجسم، يساهم في تغيير الجينات الناقلة للعوامل الوراثية مع الوقت، وما يصحبها من تغيرات وطفرات وراثية، وهذا ما يفسر تغير ملامح البشر الناقلين لمثل هذه الطفرات، والتغيرات العضوية وحتى الجينية.

حصلنا على الموافقة وعلى دعم كل الباحثين في تلك المحاضرة، لم أصدق نفسي أنني على وشك وضع حجر الأساس في مملكتي التي حلمت بها، وهي أن أصير عالمة أحياء ذات شأن عال، وأيضا الظفر بالكنز المزعوم، الذي قد يغير مسار حياتي نهائيا، دون أن أنسى ذلك البائس خليل، فعلي رفعه اذا ما ارتفع شأني.

غادرنا قاعة المحاضرات، وأنا أحمل معي شحنة زائدة من التفاؤل والعزيمة، لتجعلني أندفع أكثر الى الأمام، لأرتقي في سلم أحلامي وطموحي.

رافقت خليل الى مخبرنا العلمي، وذلك بعد ذهابي الى المستشفى الذي اعمل به، لأسلم طلب اجازتي السنوية، التي كنت بحاجة ماسة اليها في ذلك الوقت، حتى أتفرغ للبحث الذي تحصلنا على الدعم والمساندة فيه، وكذلك للتفرغ لحل اللغز الذي أقحمني فيه ذلك الغريب، في انتظار ما يسفر عنه فك رموز الكتاب والدم معا.

و في المختبر، احتفلت أنا وخليل بحصولنا على أول دعم أجنبي ومحلي، ومساندة مادية ومعنوية تسهل علينا الحصول على احتياجاتنا من عينات و مواد كيميائية، وكذا أجهزة نحتاجها في الفحص والتحليل العلمي.

عملنا قليلا في بحثنا، ثم ودعته ضاربة له موعدا بالالتقاء في صبيحة يوم غد ان شاء الله.

عدت الى البيت وأنا جد منهكة من التعب، استقبلتني أمي عند الباب بحضن قد أنساني تعبي، فهي فرحة لما حققته وخليل في تلك

المحاضرة، مهنّئة ومتمنية لي النجاح وتحقيق جميع أحلامي وأمانيّ، فقد أخبرتها بكل تفاصيل أحداث اليوم بالهاتف، وانا في طريقي الى المخبر.

- آه سليمة، قبل أن أنسى، وصلك طرد مستعجل صبيحة اليوم، لم أشأ اخبارك بالهاتف، أردتك أن تريه حال عودتك الى البيت، وضعته في غرفتك عزيزتي، فوق طاولة كتبك.
- شكرا لك أمي.
- جهزت لك الحمام، استحمّي بنيّتي ريثما أجهز لك وجبتك المفضلة.

استحممت وأخذت قسطا من الراحة، فاليوم كان حافلا بالأشغال الشاقة بالنسبة لي، و تذكرت الطرد الذي وصلني، حالما استلقيت فوق سريري، ورأيته قابعا فوق طاولة كتبي، متربعا وسطها بين حاشية من الكتب والأقلام، اسرعت اليه وأخذته بين يداي متفحصة اياه، علني أعرف ما بداخله اذا ما مررت عليه أناملي

وتحسست غلافه لأعرف محتواه، ثم قررت بجرأة أن أفتحه وأنهي فوضى الحواس التي بداخلي.

مزقت الغلاف الذي يحتضن المحتوى، واذا بي أجد بقلبه كتابا آخر، فلاحظت من أول وهلة، أن الكتاب يحمل نفس عنوان الكتاب السابق * ترانيم الدم فوق أسطح الكنوز*، فأحضرت الكتاب الأول ووضعته أمامي، أخذت أقلب أوراقه الواحدة تلو الأخرى، متأملة تفاصيل تضاريسه التي لم تكن غريبة علي، فهذا الكتاب بكل بساطة، يفك شيفرة الكتاب السابق، فالرموز المبهمة في الكتاب الأول، مشروحة وبالتفصيل في هذا الكتاب،و قارنت كل صفحة من الكتابين ببعضهما، فهما كالداء والدواء، كالباب ومفتاحه، كالروح والجسد تماما.

عندما وجدت نفسي أمام لغز ومفتاحه، زاد انفعالي بتذكري كل ما قاله الباحث الأجنبي، وأصبحت أنتظر بشوق ولهفة ما بعدها لهفة، لمقابلة ذلك الرجل الغريب، واستقبالي لأي شيء من طرفه يقوم باحياء مغامرتي، ويجعلني أعيش نوعا من الخيال، كاسرة بذلك

جدار الروتين اليومي، الذي كنت أسبح وسطه كل يوم من أيامي العادية.

وبينما كنت أتصفح الكتاب، اذ وجدت ورقة مطوية، لقد حافظ الغريب على أسلوبه، كما في المرة السابقة تماما، قمت بفتح الورقة، واذ بها عنوان قد كتب عليها، فتساءلت وفي عيناي بريق كما لو أنهما تتوقان لرؤيته، فعلا فالضحية تقع في حب قاتلها.

ما الذي ينتظرني عند هذا العنوان يا ترى؟

اتصلت بخليل كما اتفقنا، على انه وفي حالة حدوث شيء، أو توصّل أحدنا لشيء أن يخبر الأخر فورا، دون انتظار أو تردد.

- ألو خليل، مساء الخير.
- أهلا سليمة، هل اشتقت لي بهذه السرعة يا فتاة (مطلقا ضحكة شريرة).
- نعم اشتقت لرؤية وجهك القبيح، تبا لك خليل، يا لك من رجل خبيث!
- ماذا هناك؟ لا أظنك اتصلت بي لمجرد الاطمئنان على صحتي، هل توصلت الى شيء بخصوص لغزنا؟

- تلقّيت اليوم طردا أخر من الغريب، و هو كتاب أيضا، كما في المرة السابقة.
- كتاب؟ ما بال هذا الغريب؟ ربما يريد أن يؤسس لك مكتبة، ثم يعرض عليك الزواج، فهو أكيد على علم بأنك تعشقين الكتب، وأراد من كل هذه المسرحية أن يكسب قلبك، فأن تكسب قلب فتاة تقرأ، ليس بالأمر الهيّن، اسأليني أنا عن هذا، ألو ألو سليمة!، أنا أمزح عزيزتي، لا تغضبي أرجوك.
- بربك يا خليل، أهذا وقت مزاحك الثقيل؟ أم أنك تريد إغاظتي عند أول فرصة تسمح لك، يا لك من باحث معتوه.
- كفاك اطراء، واخبريني عم يتحدث الكتاب وما عنوانه هذه المرة؟
- الكتاب مماثل للأول الى حد ما، فهو يحمل نفس عنوان الكتاب السابق، (نطقت أنا وخليل في نفس اللحظة باسمه) *ترانيم الدم فوق أسطح الكنوز*، نعم أحسنت، لازلت تتذكر اسمه!

- بالله عليك، أكملي سليمة.
- لاحظت وبمقارنة الكتابين مع بعض، أن الكتاب الجديد يشرح الكتاب السابق، فالرموز المبهمة في الكتاب الأول، مبسطة ومشروحة بدقة في الكتاب الثاني.
- هذا جيد جدا، يعني أننا تحصلنا على مفتاح فك اللغز، هنيئا لنا بذلك.
- ليس هذا كل شيء، لقد وجدت ورقة مطوية وسط الكتاب بها عنوان، لكن لا أظن أنه باستطاعتي أستطيع السفر بمفردي، فأنا أجهل ما ينتظرني هناك.
- كيف تسافرين من غير محرم؟ أكيد سوف أرافقك، رجلي على رجلك صغيرتي.
- محرم!! سؤريك ما معنى كلمة محرم لما نلتقي.
- هيا قرّري متى نحزم أمتعتنا، والى أين سنتوجّه؟
- حسن خليل، سأقرأ عليك العنوان حرفيا، كما هو مكتوب على الورقة: تافرنت ولاية خنشلة.

- سمعت كثيرا بهذا المكان، لدرجة أن الفضول أخذني لزيارته يوما ما، أرى أن الغريب يحقق لنا أحلامنا الواحدة تلو الأخرى هههههه
- ماذا سمعت عنه؟ وما الشيء الذي جعلك تتمنى زيارته؟
- لا شيء سوى الهدوء الذي اشتهر به، وقلة البشر القاطنين هناك، فهو يبعث على الراحة النفسية، لكنه مكان شبه صحراوي، لا شيء مهم فيه على ما أعتقد.
- سنسافر غدا ان شاء الله، سننطلق بعد بزوغ الفجر.
- غدا !؟
- نعم غدا، فهو يوم عطلة، الا اذا كنت مرتبطا بمواعيد يا خليل؟
- لا ليس لدي أية مواعيد، لكن لم العجلة؟ دعينا أولا نراجع الكتابين، ثم نقرر بعد ذلك ونتفق على السفر، أليس هذا بالأمر المنطقي عزيزتي؟
- فكرت في ذلك، لكن لو أراد الغريب ذلك، لتمهل بإرسال العنوان ولأجلّه الى يوم آخر، لكنه لم يفعل، اذا يريد أن

يريني شيئا ما، أو ربما يود مقابلتي، كل هاته التساؤلات، سنكتشف جوابا لها يوم غد ان شاء الله.

- تمام، سأجهز نفسي عزيزتي، ثم أتجه الى سريري، عليّ أن أنام مبكرا الليلة، فأنا متعب جدا الآن.
- حسن، لكن لا تنسى ضبط المنبه على صلاة الفجر، نصلي الفجر أولا ثم تأتي لاصطحابي من باب بيتنا، فأنا أخاف من الظلام كما تعرف.
- تمام، وهو كذلك سليمة، تصبحين على خير.
- تصبح على خير خليل.

اتجهت الى غرفة أمي، لأعلمها بسفري، وجعلها تساعدني في اقناع أبي والسماح لي بالسفر، مقنعة اياها بكذبة صغيرة، أتمنى أن تكون أول وأخر كذبة قد تلفظتها شفتاي، أخبرتها أنني سأذهب وخليل في خرجة علمية، وأخبرتها بأنني لست الوحيدة، فمعي خليل وبعض الأصدقاء، حتى يطمئن قلبها.

وافقت أمي وتحصلت على الموافقة من أبي أيضا، مبدية راحتها وطمأنينتها، لمّا علمت مني أن خليل سيرافقني في الرحلة، فهي

تحبه كثيرا وتثق به، فأنا بين أيد أمينة في نظرها مادام معي في الرحلة.

ذهبت الى غرفتي مسرعة، لأجهز حقيبة سفري، أخذت الحقيبة الأصغر حجما، وضعت بداخلها الكتابين وأنبوب الدم، ووضعت الورقة التي بها العنوان في حقيبة يدي، أخذت بعض المستلزمات، التي قد أحتاج اليها في الرحلة، كآلة التصوير وهاتفي الخلوي.

أخذت المنوم المعتاد، فأنا قد أدمنت تناوله، مستدعية النعاس والأمان الى حرم جناحي، مودعة شوقي الى يوم غد وما يحمله من أحداث ومفاجآت.

نهضت على صوت المنبه الذي سارعت بإسكاته، والهرولة الى الحمام للوضوء، ثم صليت الفجر في هدوء وسكينة، داعية المولى عز وجل، بأن يسدد خطانا، وأن ييسر طريقنا ويسهل كل عسير قد نتعرض له في يومنا هذا.

ارتديت ملابسي، وتناولت فطوري على عجلة، فخليل ينتظرني أمام الباب، هذا ما قاله لي في الرسالة التي وصلتني منه بالهاتف، خرجت وفي فمي لقمة كبيرة من الخبز، المغموسة في مربى التين

الشهي، ألقيت عليه السلام وانطلقنا في طريقنا لبدء المغامرة، و ركبنا سيارة أجرة، ونحن نجهل تماما ما ينتظرنا في ذلك العنوان.

عند وصولنا الى مدينة خنشلة، وذلك بعد ستة ساعات تقريبا من انطلاقنا، بدأ خليل بالركض وراء سيّارات الأجرة، علّنا نتحصل على واحدة تقلّنا الى العنوان الذي بحوزتنا، لكن الغريب في الأمر، أن كل اولئك السائقين الذين أوقفهم خليل، رفضوا الذهاب وايصالنا الى ذلك العنوان، بل ورمقونا بنظرات غريبة، وكأننا قد هبطنا لتونا من كوكب آخر، بل و كأنهم رأونا على غير طبيعة البشر.

لم يطل الأمر بنا كثيرا، حتى توقفت أمامي سيارة سوداء اللون لامعة، و فتح أمامي بابها، داعيا اياي سائقها بالصعود، مشيرا الي بيده التي تمكنت من رؤيتها، وعند انحنائي لرؤية صاحبها، لاحظت أنه كهل مرتد نظارات شمسية سوداء اللون، وقبعة تغطي رأسه بالكامل، هذا ما استطاعت عيناي رؤيته في تلك اللحظة.

اشرت الى خليل بالمجيئ، وأخبرته أن هذا الرجل قد عرض علينا المساعدة، فلربما أوصلنا الى المكان المنشود، على خلاف سائقي سيارات الأجرة الذين رفضوا ذلك.

في بادئ الأمر، تملكني قليل من الخوف، فأنا أحمل في حقيبتي كل المقتنيات التي تحصلت عليها من الغريب، ونحن نجهل نية صاحب السيارة، ففي حالة حدوث شيء ما لحقيبتي، سأصاب بالجنون لا محالة.

بعد أخذ وردّ مع خليل، قررنا قبول العرض، والركوب مع الرجل، فليس لدينا خيار أخر نلتجئ اليه، بعد ركوبنا معه، لكنه فاجأني لمّا انطلق بنا بسرعة، ولم يسأل حتى عن العنوان الذي نبتغي الذهاب اليه.

اجتاحتني موجة من الخوف، وبدأ قلبي بالخفقان بشدة، أؤكد أن خليل قد سمع نبضه، من مكانه ذاك في مقدمة السيارة، أحسست أن ضغطي قد ارتفع، وان لم أتكلم لحظتها فسأنفجر دون شك.

- عذرا سيدي، هذا هو العنوان الذي نريدك أن توصلنا اليه، بعد اذنك.

نظر الي الرجل من مرآة سيارته، ونزع نظارته الشمسية التي كانت تحجب عيناه بالكامل، واذا بي وجها لوجه مع تلك العينان الحادتان، المختلفتان تماما عن لون بعضيهما، انه الغريب بكل بساطة.

كان هذا التصرف منه كفيل بأن يسكتني، ويبقيني ما بين المغشي عنها، والواعية لما يدور حولها، لم أكن بحالة جيدة أبدا، فأنا بحاجة ماسة الى كيس من الغلوكوز السائل، أو الى الديجيتوكسين (Digitoxin)، عله يرقّع قلبي الذي أصبح رثا في الآونة الأخيرة، وما مر به من أحداث غير معهودة، وزوبعة من الأحاسيس المتضاربة بين الخوف والاثارة، وارهاق فكري وجسدي، وما تبعها من اعياء لقلبي المرهف.

وصلنا الى المكان المزعوم، و تركنا الغريب في السيارة، ونزل منها ماشيا الى الأمام بحوالي عشر خطوات، وحين التفت الي خليل اكتشف بأنني على وشك الموت دون ادراكه للسّبب، فسقاني حينها شربة ماء، و وضع في فمي حبة من الحلوى.

- سليمة، من يكون هذا الرجل يا ترى؟

أجبته وأنا أنظر اليه من نافذة السيارة.

- انه الغريب.
- يا الاهي! الغريب! لماذا لم تخبريني بذلك منذ البداية؟
- لم أكتشف هويته الا بعد أن كلّمته قبل دقائق، كانت نظرته تلك كفيلة بأن أتعرف عليه.
- ماذا سنفعل الآن؟ كيف سنهرب من هنا؟ ما الذي ينوي فعله بنا؟
- احتفظ بشجاعتك يا خليل، وابق مكانك الى أن يقرر هو ذلك، سنكتشف كل شيء بعد قليل، عليك بالصبر والدعاء.

التفت الينا الغريب، مشيرا الينا بالنزول من السيارة، والذهاب اليه، و في طريقنا اليه، لم يكف خليل عن الدعاء، وترديد آية الكرسي، بينما كنت أنا كمن سلّمت نفسها لقدرها، لم أكن خائفة ولا متوترة، بل ان تلك الأحاسيس التي كانت تخالجني بين الفينة والأخرى، غادرتني لحظتها، لعلها استسلمت أمام جلادها.

وصلنا الى حيث أشار الغريب، وأمرنا بالجلوس على الأرض كما فعل هو، أشحت بناظري متفحصة المكان، لأكتشف أنه شبيه بواد حصوي، تتخلله رمال صفراء ذهبية، و يبدو أن النباتات رفضت كسوته بالخضرة، خوفا من زوال هيبته وروعته الصامتة.

جلسنا أمام الغريب، وأخذ يحدق بي، فأنا جالسة أمامه مباشرة، شعرت حينها بأنه يسلبني طاقتي، بعينيه اللتان خفت منهما أول مرة، وعشقتهما الآن في تلك اللحظة، من قال أنه بعد كل كره ينمو الاحساس بالحب، كان حري به أن يقول وبعد كل خوف حب.

- سليمة، (خاطبني الغريب بصوته الخشن)، لا داعي لإجراء تحاليل أخرى على دمي، لا تضيعي منه المزيد أرجوك، يكفي ما ضيعته منه حتى الآن.
- نطقت بثقة أدهشت خليل، ماذا تريد مني أيها الغريب؟
- ابتسم الغريب ابتسامة خبيثة ورد قائلا: أريد لك الخير كله، لو تعلمين صغيرتي.

- أي خير وأنت طردت النوم والراحة من عالمي، منذ التقيتك أول مرة؟ بالله عليك أخبرني وأرحني، ماذا تريد مني؟
- كل مثير مغر صغيرتي، ألا تستهويك المغامرات؟ وأي مغامرة أقحمتك فيها، ستصبحين من أثرى أثرياء البشرية، وهذا ما قاله لك الباحث الأجنبي الذي التجأتم اليه، أليس كذلك؟
- ليس هناك بشري لا يرغب في الثراء، لكن كيف عرفت بأمر الباحث الأجنبي؟ لم يكن بالغرفة سوانا، أنا وخليل، كيف علمت؟
- ليس المهم كيف علمت، المهم أنني أعرف جميع تحركاتك، ما تحبين وما تكرهين، ما ترغبين وما كنت تتمنين، حتى الأشياء التي أنت فيها ترغبين صغيرتي، فمعرفتي لك لم تكن وليدة الصدفة، ولا وليدة الأمس، بل هي وليدة يوم ولادتك.
- كيف ذلك؟

- أعرفك منذ كنت في المهد رضيعة، ورافقتك برعايتي والحماية التي منحتك اياها، فلا مكروه أصابك ولا حتى خدش وأنا معك، لم أتركك حتى دقيقة منذ ولادتك.
- بالله عليك وضح أكثر، وبأي صفة جعلتك تتابع تحركاتي وتلاحقني منذ ولادتي؟
- ليس الآن، لقد علمتي الكثير مني لحد اللحظة، ستعرفين كل شيء في أوانه.
- لقد زدت الأمر تعقيدا علي، هل تستمتع برؤيتي في دوامة من الأسئلة، وفي ضياع فكري حاد؟
- اتركي كل أسئلتك الى حين توصلك للإجابة في أوانها، و أجيبي الآن على سؤالي، هل ستستمرين في مغامرتك، أم أنك تريدين الانسحاب؟
- حسن، سأستمر لكن بشرط.
- ملكة وتتدلّل، اشرطي كما تريدين، هذا استثناء لم يحدث الا معك، تفضلي صغيرتي.
- خليل سيرافقني في كل خطوة أخطوها.

- هذا ليس بشرط، لقد وافقت على هذا منذ أول يوم التقيتني فيه، كنت أعلم أنك ستلتجئين اليه، (وغمر خليل بنظرة مرعبة، أحببتها منه بصدق، لقد اعتبرتها هدية مني الى خليل كعربون شجاعة).
- والآن، ما المطلوب منا؟
- عليكم بقراءة الكتابين جيدا، وأكيد أنك اكتشفت أن الكتاب الثاني، مفتاح لألغاز الكتاب الأول، أما هذا العنوان، فأنصحكما بحفظه عن ظهر قلب، سنلتقي في هذا المكان عندما يحين ذلك، وتكملان فك جميع الألغاز وربط الحلقات ببعضها البعض، أما ذلك الدم ستستخدمانه في اخراج الكنوز من قلب هذه الأرض المباركة وهذا مذكور بالتفصل في الكتابين (ومسح بيديه على ظهر الأرض).

قاطعه خليل ضاحكا بهستيريا، وقال وهو ينظر الى الأرض بذهول، ويتلمس كل حصوة فيها: قلت اخراج الكنوز من باطن هذه الأرض! هل تعني أننا جالسون فوق الكنوز؟ وأن الكنوز تقبع تحتنا الأن؟

نظرت الى خليل نظرة، لو كانت رصاصة، لانطلقت واستقرت في منتصف جبينه، تأديبا وعقابا له، لإحراجه لي أمام الغريب بذلك التصرف الغبي.

في تلك اللحظة، نهض الغريب من مقامه، وأعلمنا أن الاجتماع قد انتهى، فقد أنهى ما بجعبته من كلام، وأنه عليها الرحيل من هناك.

ركبنا السيارة وانطلقنا، ولم ينبت أحدنا ببنت شفة طوال الطريق، وبعد مدة وجيزة وصلنا الى المكان الذي أخذنا منه الغريب، وقبل نزولنا من السيارة، نبهنا الى أنه يجب علينا تفحص وفهم الكتابين، والتفكير مليا قبل اتخاذ أي قرار، لم أكن أفهم قصده، لأنني مازلت أجهل محتوى الكتابين، عدى علمي بأن احدهما يكمل الاخر.

بعد مغادرة الغريب، اتجهنا الى أقرب نزل، وبتنا ليلتنا هناك، وكل واحد منا يفكر في غرفته فيما قاله لنا الغريب، والأسرار التي تنتظر أن نكشف الستار عنها بعد قراءتنا للكتابين.

وفي فجر يوم الغد، نهضنا لنستعد لمغادرة تلك المدينة، تاركين وراء ظهورنا الكنز المزعوم، نائما بهدوء بين أحضان تلك

الأرض المباركة، متجهين في رحلة العودة الى واقعنا، الذي أضاف اليه الغريب لمسته الخاصة.

وصلنا أخيرا الى مدينتنا، واتجه كل واحد منا الى بيته، لنيل قسط من الراحة، ضاربين موعدا لمعاودة الالتقاء بعد ثلاثة ساعات من لحظة وصولنا. عند ولوجي الى البيت، طلبت من أمي أن تحضّر لي وجبة، ريثما آخذ حماما على السريع.

تناولت وجبتي، ثم نمت كعادتي بعد أخذي لقرص منوم قد أدمنت عليه منذ مدة واستفقت على صوت خليل، وهو يهز الوسادة من تحت رأسي، نازعا الغطاء من فوقي.

- أنهضي يا كسولة، حان وقت العمل.
- حمدا لله أنك لا تقيم بيننا، والا لكنت ودعت النوم الذي ستحرمني منه، والذي أستخدم طقوسي الخاصة في استدعائه الي.
- هيا كفي عن الكلام، وانهضي الآن، والا جلبت الماء من الثلاجة وجعلتك تنهضين راقصة من فراشك.

- تبا لك، سأصدر قرارا بمنعك من دخول غرفتي وأنا نائمة، أصلا الخطأ ليس خطؤك بل خطئ الذي سمح لك بالدخول.

نهضت من السرير، وأنا أتمتم بمختلف أنواع الشتائم، موجهة اياها لخليل، الذي انفجر ضاحكا، حال وصولي الى باب غرفتي.

- يا الاهي! أنت تشبهين الزومبي الى حد بعيد، مشيتك وشعرك والازرقاق الذي يحيط بعينيك، هههههه
- أو مازلت تعتبرني من الأحياء؟ لقد مات احساسي منذ اللحظة التي تعرفت فيها عليك.
- أمازلتي تتذكرين تلك الأيام؟
- كيف لي أن أنسى؟

تنهدت وخرجت مسرعة من الغرفة، تاركة ورائي خليل يقلب صفحات الماضي، ويقف فوق أطلال الذكريات.

حين عدت الى الغرفة، فاجأني برسالة قد حضرّها في غيابي، وأبى أن يسلمها لي شريطة وعدي له بعدم فتحها الا بعد مغادرته،

فقبلت شرطه ووعدته بذلك، والفضول قد أخذ مني مأخذه، ونال مني لمعرفة محتوى الرسالة.

وضعت الرسالة فوق سريري، وبدأنا العمل، أول ما قمنا به هو مقارنة الكتابين، أو بالأحرى قراءة الكتاب الأول بالاستعانة بالكتاب الثاني، ومن أول صفحة انبهرنا بما وجدنا.

أول باب من الكتاب، سمي بباب الكنز، وهو قد روى نفس القصة التي سمعناها من الباحث أول مرة، بل انها تطابق كل ما قد قاله عن فترة تواجد الكنوز فوق سطح الأرض، وتعاهد الانس والجن على حمايتها وحراستها، و الى غاية اختفاء تلك الكنوز وابتلاع الأرض لها، وبقاء ذلك العهد قائما بين الثقلان الى غاية يومنا هذا.

- لم أكن أتوقع أن كل ما قد قاله صديقك الباحث واقعي وصحيح.
- فعلا، لكن الجديد في الأمر، أن مهمة حراسة تلك الكنوز لا توكل لأي انسي كان، بل يتم اختيارهم، لتوفر الشروط اللازمة فيهم، وأيضا لا يستطيع أي انسي الضفر بتلك

الغنيمة، أي أنه ليس كل من هب ودب تتاح له الفرصة التي حظيتي بها عزيزتي.

لم نضيّع الوقت بالكلام، وانتقلنا مباشرة الى الباب الموالي من الكتاب، وهو باب العهد، فاستنتجنا أن هناك طقوس وقسم قد تم بين الجن والانس المختارين لتولّي مهمة حراسة الكنوز، وهذا ما يوضحه الكتابان بالرمز والشرح، وكذا ضرورة استوفاء جميع الشروط اللازمة في الانسي حتى يتم توكيله بتلك المهمة، كاختلاف لون عيني الانسي المختار، وهذا ما يفسر اختيار الغريب لتلك المهمة، فالتميز ظاهر على مظهره قبل التعرف على مهمته، ذكر في هذا الباب أيضا، أنه وبعد اختيار الانسي من طرف الجني القرين، والمرافق له في عملية الحماية والحراسة، يخضع الى عدة طقوس لجعله أكثر تميزا عن غيره، كأن يسلب منه ظله، فالإنسي المختار لا يملك ظلا، على عكسنا نحن، ثم بعد ذلك يتم وشم ذراعه وعلى طول عرقه الدموي الممتد من مرفقه الى معصمه، بكتابة مشفرة، فتلك الكتابة ماهي الا كلمة السر قد نقشت وترسخت على ذراع المختار، وبعد كل هذا يتم تتويجه كحام وحارس للكنز.

أصبحنا ندرك الآن أن الغريب هو الانسي المختار لحراسة الكنز، وأن الوشم الذي بذراعه، ما هو الا كلمة عبور لفتح أبواب الكنز المزعوم، وأنه لا يملك ظلا على خلافنا، وهذا ما قد غاب عنا، أو ربما لسوء ملاحظتنا يوم قابلناه، لجهلنا التّام لهذه المعلومة، واهتمامنا بما سيقوله لنا الغريب في ذلك اللقاء.

- عزيزتي، الغريب هو الرجل المختار اذا، ما أثار تساؤلي هو سبب حومه حولك، مادام مكلفا بحمايته لا بإهدائه.
- هذا بالضبط ما أردت قوله أنا أيضا، ربما سنجد جوابا لو أكملنا القراءة، لذا الزم الصمت ودعنا نكمل.
- حسن، لن أتكلم بعد الآن، فلا تحاولي استنطاقي لاحقا يا أميرة الظلام.

بعد عدة صفحات من القراءة، دخلنا الى باب جديد من الكتاب، وهو باب انقاض الكنز، تحدث هذا الباب مطولا عنه، وعن نوعية الأحجار الثمينة والمعادن النفيسة التي يحتويها، الى أن وصلنا الى احتمالية تعرضه الى النهب وذلك في حالة تمرد الانسي أو القرين (الجني)، وابداء احدهما أو كلاهما رغبته في التحرر من العهد،

أو رغبته في امتلاك الكنز، كأن يفشي سره ومكان تواجده، وكلمة السر التي اذا عرفت أصبح الكنز مرئيا، والى غير ذلك من الأمور التي قد تعرضه الى الخطر، كل هذا قد حسب حسابه، فكل من تسول له نفسه بذلك من الطرفين، فهو يعرض حياته بذلك الى الهلاك، فبمجرد لمس أحد الطرفين للباب المؤدي الى الكنز بسوء نية، يتم حرقه آليا، فهكذا تهديد وهكذا نتيجة، تجعل الزوجين (الانسي والجني)، يفكران مليا قبل أن يرتكبا هكذا حماقة في حق نفسيهما.

ذكر هذا الباب من الكتاب أيضا، جوابا لاحتمالية مرض المختار، و احساسه أوتأكده من اقتراب أجله، فهنا يتحول الانسي المختار، الى موروث اذا توفي، وفي هذه الحالة اذا أدرك أنه ميت لا محالة، عليه اختيار من يرثه، وهذا كجزاء لولائه ولالتزامه بحراسة الكنز طوال تلك السنوات، وبمجرد انتقال الكنز من الانسي المختار الى وريثه، يفقد ذلك الانسي حياته، بنفس تلك الدقيقة يحترق الجني القرين ويختفي تماما.

- أيعقل أن أكون أنا الوريثة التي اختارها الغريب؟ وما الذي يجعله يختارني من بين كل هؤلاء البشر؟
- فعلا لم تم اختيارك انت بالذات؟، فهو أخبرنا بأنه تتبع أخبارك منذ الدقيقة التي ولدت فيها.
- لماذا أنا يا خليل؟
- لست أعلم منك بالجواب يا سليمة، علينا اكمال القراءة، علنا نجد ما يسكت تساؤلاتنا.

كان الباب الموالي يحمل عنوان الكتابين، سمي بترانيم الدم فوق أسطح الكنوز، هذا الباب يشرح وبالتفصيل، طريقة استخراج الكنوز من باطن الأرض المباركة، فتوضح لنا في هذا الباب، أنه ولاستخراج الكنز يستلزم ذلك اراقة دم القربان ودم الأنسي المختار في نفس الوقت فوق الأرض التي تأكّد أنها تحوي الكنز المزعوم، وقراءة التعويذة التي وشمت على ذراعه، والتي تتمثل في كلمة السر للكشف والولوج الى ذلك الكنز، والقراءة تتم بالتوازي مع سيلان الدماء فوق سطح الأرض.

ذكر في هذا الباب أيضا، أن كل كلمة سر وشمت على ذراع أي أنسي مختار لتلك المهمة، لا تشبه غيرها من كلمات السر الأخرى.

بجرد استكمالنا لهذا الباب أحسسنا بأننا على وشك الظفر بتلك الغنيمة، فكل المؤشرات تشير الى ذلك، فبحوزتنا كل ما يستلزم عدى كلمة السر التي وشمت على ذراع الغريب، وهذا أمر سهل، فهو سيسلمنا اياها دون شك مدام قد أبدى تعاونه معنا منذ البداية، وهو من أراد ذلك منذ اللحظة الأولى، بل كان غرضه اهدائي اياه منذ ذلك اليوم الذي تقابلنا فيه أول مرة، لكننا نجهل ما يقصده هذا الباب بالقربان.

- تبّا، هناك لغز أخر، ما المقصود بكلمة دم القربان يا ترى؟
- لا أعلم، ربما أنت القربان ومن يدري، توقعي أي شيء من الغريب، كوني مستعدة عزيزتي.

- لكنني متأكدة من أنّ الغريب لن يعرض حياتي للخطر، فالقربان يقدم ولا يعود على حد علمي، هذا معناه أنّ الوارث من المستحيل أن يتحوّل الى قربان أيها الذكي.
- اذا عليّ الخوف على نفسي، والتّأمين على حياتي من الآن، وا أسفاه عليك يا خليل.
- كفاك نواحا، ودعنا نكمل القراءة، علّنا نعرف المقصود من تلك الكلمة.

غمرتني أنا وخليل فرحة النصر، وفرحة الاقتراب من تحقيق جميع الأحلام التي كانت معلقة تنتظر الفرج، ويبدو أنها على وشك التحقق هي وجميع الأمنيات الأخرى، فلم يتبقى لنا من الكتاب سوى باب أخير، بإكماله سوف نطوي صفحة الأماني والأحلام.

الباب الموالي كان باب التّضحية، ورد في هذا الباب أنه ولاستكمال كل تلك المراسيم نحو الكنز، لابد للخضوع لشرط التضحية، لكن وأيّة تضحية اشترطت علينا، فالوارث أمامه خياران، اما الانسحاب نهائيا، أو الرضوخ للشرط والقبول به،

فالتضحية متمثلة في تقديم قربان بشري، واشترط بالتضحية بأقرب شخص للوارث، كأن يكون صديقا، أو بالزوج اذا كان الوارث متزوجا، أو بولده، والخلاصة من كل هذا، أن يكون المضحّى به من أعز الأشخاص لدى الوارث.

- لم أتوقع أن تكون تلك الحوادث التي نسمعها كل يوم، تكون أغلبها لها علاقة باستخراج الكنوز يا خليل، فهناك من ضحى بابنه لأجل هذا، رباه ما كل هذه القسوة، أليس في قلبهم رحمة؟
- لا أخفي عليك حيرتي، وكما قلتي، الآن وبعد كل هذا الذي كتب هنا، توضحت لي عدة حقائق حول اختفاء الأطفال، وتلك الحوادث التي ارتبط اسمها باستخراج الكنوز والدّجل.
- تماما، انه تأثير الكنز والرغبة البشرية في الثراء، وتلك الرغبة لا يقمعها أي شيء للأسف.

عمّ الهدوء أرجاء الغرفة، فلم نكن نتوقع أن يذكر شرط كهذا، لم يكن الحصول على الكنز بتلك السهولة التي توقعتها أنا وخليل، في

تلك اللحظة خاب أملنا، وتبخرت أحلامنا التي أملنا أن ترى النور عن قريب.

رفع خليل رأسه من فوق الكتاب، ورمقني بنظرة مزقت قلبي، ارفقها بابتسامة أشعلت نارا بداخلي، لم تكن ملامحه تلك تنبؤ بالخير، لأول مرة أراه بتلك الحال، أشاح بنظره عنّي وطأطأ رأسه.

- سليمة، اذا كان الحصول على كنز أمر أكيد، واذا كانت جميع أحلامك قابلة للتحقيق، اثر حصولك عليه، فعليك بالتّضحية بي، لا أسميها تضحية لأنني موافق على ذلك عزيزتي، لطالما أخبرتك بأنني مستعد للتضحية بنفسي من أجلك.
- ماذا تقول أيها الغبي؟ من المستحيل أن أضحي بك أو بأحد لا أعرفه فكيف بك أنت؟
- مجنونة أنت، هل ستتركين الكنز يفلت من بين يديك؟
- لم يكن حلمي أبدا الحصول على كنز، فكنزي جالس أمامي الآن، وأنت أثبتّ أنك تستحق هذا اللقب، أما عن

أحلامي، فستتحقق ان شاء الله، حال نيلنا لشهادة الدكتوراه، والحمد لله كلانا نعمل ونحصد مقابل ذلك ما يجعلنا في غنا عن أي مخلوق كان، ويجعلنا بغير حاجة الى سؤال غيرنا أو حاجتنا لأي مخلوق كان.

في تلك الدقيقة رغبت وبشدة، الإفصاح عما يجول في خاطري من مشاعر اتجاهه، واغتنام تلك الفرصة لأبوح له سر تسارع دقات قلبي عند رؤيتي له في كل مرة، وأنني أغتنم تلك الدقائق التي يكون فيها منشغلا بالفحص المجهري، لأروي عطشي بتأمله وهو يعمل، لدرجة أنني تمنيت يوما لو أصبح مجهرا، لأمضي معظم وقتي معه.

- لا تتسرعي باتخاذ القرار، فكري جيدا هذه فرصتك لتحقيق احلامك عزيزتي، أنت تعلمين أين تجدينني، الى اللقاء الآن.
- خليل انتظر!

غادر خليل الغرفة مسرعا، تاركا وراءه أشلاء مشاعر، مبعثرة في كل ناحية من أنحاء الغرفة، و تمنيت أن تفضحني تلك

المشاعر والأحاسيس التي أكنّها له، علني أحتفظ به الى الأبد، فأرتاح ويرتاح قلبي، أو أن أخسره الى الأبد، وكانت مخافة خسارته هي التي أبقتني صامتة، أتحمل عذاب حبي له طوال هاته المدة التي قضيناها معا.

قمت بإغلاق الكتابين، ورميت بنفسي فوق السرير، أرثي من ناحية فقداني للكنز، ولحال قلبي الذي أثقلته حمولته وأتعبته من ناحية أخرى. استدرت بجسدي لتلامس يدي برقية خليل التي أخذ مني وعدا بعدم فتحها، الا بعد مغادرته للغرفة، فجلست مسرعة واعتدلت في جلستي، وفتحتها بلهفة كما لو أنني أفتح رسالة من رسائل الغريب، كتب عليها خليل سطرا واحدا فقط، أو بالأصح سؤالا واحدا * هل تقبلين الزواج بي؟*

عند قراءتي لهذا السطر الوحيد، أظنه أفقدني وعيي، فلم أتمالك نفسي ووقفت فوق السرير، وأخذت بالقفز فوقه كالأطفال، وصرخت بأعلى صوتي:

- خليل، أنا موافقة.

واذا به يطلّ علي من باب الغرفة وهو ضاحك، والخجل باد على وجهه.

- هل ناديتني؟
- أنا موافقة، أنا موافقة، أنا موافقة، وبشدة أيضا.
- وأنا سعيد وبشدة يا أميرتي.

أتت أمي مسرعة من المطبخ وبيدها سكين، فقد كانت منهمكة في اعداد العشاء، وقد أرعبها صراخي.

- ماذا هناك؟ ماذا حدث غاليتي؟
- أمي ليس هناك ما يقلق، لكن هناك أمر يود خليل اخبارك به.
- ماذا هناك يا بني؟
- خيرا أن شاء الله أمي، يسعدني أن أتي بعائلتي لخطبة ابنتك على سنة الله ورسوله، بعد موافقتكم طبعا، وفي اليوم الذي تحدّدونه.

- وأخيرا نطقت بها يا خليل، لا أخفيك ما بقلبي فمن شدة حبي واعجابي بك، تمنيتك لابنتي عريسا، ولنا كصهر عزيز، وأنت أعلم وأدرى بمعزتك عندنا يا ولدي.
- هذا يسعدني ويشرفني أن أنتمي الى عائلتكم أمي الغالية، بهذه الحالة يبقى رأي الوالد، ستطلعني به سليمة الليلة ان شاء الله.
- كن مطمئنا، فلن يجد صهرا أحسن وأفضل منك يا خليل، وسأخبره لأتأكد من رأيه ونقوم بإخبارك في أسرع وقت.
- اذا عليّ بالمغادرة الآن، وفي الغد ان شاء الله أنتظر منكم اخباري برأي الوالد وبموعد الخطبة.

غادر خليل وتركني أسعد انسانة في الكون، ولمّا عانقتني أمي، أدركت أن السعادة تكمن مع من نحب، لا بالتضحية بهم.

في اليوم التالي أبلغت خليل بموافقة أبي، واتفقنا على موعد الخطبة الذي سيكون بعد أربعة أيام من ذلك اليوم.

وأخيرا جاء اليوم المنتظر، وتمّت مراسيم الخطبة، وعمت الزغاريد بيتنا الصغير، الذي رأيته يومها قصرا بالنسبة لي. لم

يتوانى والد خليل باقتراح تسريع موعد العرس، فليس هناك داع للإطالة والانتظار بنظره، وأخبر والدي بأن شقة العريس جاهزة منذ مدة، تنتظر العروس التي يختارها ابنهم فقط.

انتهى النقاش واتفقت العائلتان على أن يكون الزواج بعد شهر من يوم الخطبة، وهو أنسب تاريخ قد تم الاتفاق عليه حينها.

ومن الغد بدأت أنا وأمي بالجري اليومي، والدخول في ماراتون لشراء جميع المستلزمات، والتكفل بإعداد قائمة المدعوين وارسالها، فالوقت لم يكن كاف لتأجيل أي أمر.

بعد شهر، أقمنا عرسا متواضعا كما رغبنا به أنا وخليل، وتمت فرحتنا واكتملت بزفافي اليه، وكانت فرحتنا لا توصف يومها.

سافرنا مباشرة بعد مغادرتنا لقاعة الحفلات، مستغلين أسبوعا واحدا من اجازتنا، بالهرب مما عشناه في الفترة الأخيرة، وهربا من التزاماتنا الدراسية والعملية، واحتفالا منا وبتفاؤل تام ببداية حياتنا الجديدة، آملين بأن نحظى بالسعادة ونحن في كنف بيتنا.

بعد أسبوع من سفرنا، عدت الى بيت والدي، لاشتياقي له ولأمي، ولأكمل جمع ما تبقى لي من أغراض هناك، وبينما كنت أحضر أغراضي في الحقيبة، واذا بالكتابين ودم الغريب في رف خزانتي، وقد نسيتهما تماما هناك بعد أن وضعتهما في أرشيف ذاكرتي، فكّرت حينها بإتلافهم والتخلص منهم الى الأبد، وقمت بوضعهم في كيس أسود، و اتجهت بهم الى سلّة المهملات، القابعة في الشارع خارج فناء بيتنا، وهممت برميهم لولا الفضول الذي منعني من فعل ذلك، وانتابني لحظتها لمعرفة ما تحتويه الأجزاء الأخيرة من الكتاب، فنحن لم نكمل قراءتها وتفحصها، بسبب اصطدامنا بذلك الشرط الذي عجزنا عن تحقيقه، أو التفكير فيه حتى.

عدت ادراجي بالكيس، وأخرجت الكتابين والدم منه، ووضعتهم داخل حقيبتي وسط الأغراض التي سترافقني الى بيتي الجديد.

قمت بتوديع أمي، و حملت حقائبي وصعدت في سيارة الأجرة التي كانت بانتظاري أمام البيت، خلت أن أمي قد قامت بطلب واحدة بالهاتف، لكن اكتشفت لاحقا أنني كنت مخطئة بظني.

بمجرد ركوبي أعطيت السائق العنوان الذي عليه أن يوصلني اليه، وانطلق بي وبعد مدة عبر ممرا ضيقا وزاد في سرعته، فأخبرته أن الطريق الذي سلكه لا يؤدي الى العنوان الذي سلمته ايّاه، فرد قائلا بأن هذا الطريق مختصر، وأنه أدرى مني في ذلك، لأن هذا عمله وهو معتاد على أخذ هذا الطريق بالعادة.

في البداية خفت قليلا، ثم واجهت خوفي وبدأت أطمئن نفسي، بأن السّائق قد يكون على صواب، وأنه ليس هناك داع للخوف.

وبينما كنت غارقة في التفكير، اذ انتبهت أننا قد وصلنا الى مكان خال، غير المكان الذي أعرفه، وغير الحي الذي أقطنه. أطفأ السّائق محرك السّيارة، ونزل منها مسرعا، رغم صراخي في وجهه، ومطالبتي له بالرجوع الى المكان الذي أخذني منه، ورغم تهديدي له بالاتصال بالشرطة في حال عدم تلبيته لمطلبي، الا أنه استمر في الهرولة مبتعدا عن السيارة، الى أن توارى عن ناظري نهائيا.

كان هناك بيت مهترئ مهجور أمام السيارة، من الواضح أنه غير مسكون على الأقل بالبشر. حاولت مغادرة السيارة لكن الباب لم

يفتح، فاكتشفت أنني محتجزة بداخلها، أسرعت بإخراج هاتفي ويداي ترتجفان خوفا وهلعا، لكن لسوء حظي فالمكان ليس به تغطية، وحتى رقم الطوارئ لم يكن متاحا هناك، مما زاد من خوفي، وزاد حالتي سوءا.

أصبت بحالة هستيريا، فأخذت بالبكاء والصراخ، وحاولت تحطيم زجاج السيارة لكن دون جدوى، فلم تكن في السيارة أداة يمكنني استخدامها لذلك، فحقائبي في الجزء الخلفي من السيارة، ولم تكن معي الا حقيبة يدي التي لم تفي لأي غرض في تلك الحالة.

بعد فترة أحسست بالتعب، فقد خارت قواي وانا أحاول انقاض نفسي من المجهول الذي ينتظرني هناك، فالسائق لم يتركني بذلك المكان دون سبب، هذا ماكنت واثقة منه على الأقل.

شد انتباهي حركة داخل البيت المهترئ، وتبين لي أنه لم يكن مهجورا كما اعتقدت، فهناك أناس بالداخل، كنت بالكاد استطيع رؤية أطيافهم بالداخل، فالشقوق التي كانت تكسوا ذلك البيت، لم تعجز عن اظهار جزء منهم وهم يطوفون بالبيت، استطعت لمح رجلان، دون رؤية ملامحهما، وصوت بلبلة بالداخل، صادرة من

نقاشهما الذي لم أتمكن من فهمه ولا سماع أي شيء منه سوى أصوات غير مفهومة.

كدت أن أشل من الخوف، فتفكيري لم يكن بريئا حينها، فقد خفت أن يكون سبب اختطافهما لي هو الاعتداء علي ثم قتلي، فما عساهما يريدان من فتاة متزوجة، فالأنثى تبقى أنثى في أعين الرجال ولو كانت متشردة.

لم أضيّع الوقت وقمت بالبحث عن أداة أدفع بها شرهما عنّي أو على الأقل قد أنجح بإخافتهما بها، أو استخدمها لقتل نفسي اذا كانت نيتهما الاعتداء علي، فلم تكن لي خيارات عدة حينها.

وجدت في حقيبة يدي، مرآتي التي استخدمها يوميا، فكسرتها لتتحول الى زجاجة حادة فهي السلاح الذي سأستخدمه كما سبق وخططت، أخفيتها في ذراع معطفي ملامسة ذراعي، وانتظرت خروج الرجلين من البيت، علني أتعرف عليهما وعلى نيتهما التي استدعت اختطافي.

وبعد انتظار دام ثلاث ساعات من لحظة وصولي الى ذلك المكان، فتح باب البيت أخيرا، وخرج منه رجلان كما توقعت، لكنني

تفاجأت لما رأته عيناي، فأحدهما لم يكن غريبا بالنسبة لي، لقد كان والدي.

هل هذه خدعة منه لإخافتي؟ أيدرك مدى الخوف والهلع اللذان ألحقهما بي جرّاء فعلته هذه؟ وما الذي كان يفعله مع الرجل الذي بصحبته في البيت المهجور يا ترى؟

سأريه ماذا سأفعله به عند انتهاء مسرحيته، تبا كم أرعبني بتصرفه الغير مسؤول، لقد كنت على وشك الانهيار من الخوف، لم يسبق لأبي وأن تصرف معي هكذا من قبل، لم يكن هذا النوع من المزاح من شماته، ربما زواجي وابتعادي عنه وعن أمي قد غيّر من تصرفاته، فأنا لم يسبق لي وأنت ابتعدت عنهما طوال السنوات التي قضيتها في بيتنا.

هدأ روعي لما رأيت والدي، واطمأننت قليلا رغم التساؤلات التي تبادرت الى ذهني حينها، لم يكن بوسعي سوى الانتظار، الى حين انتهاء حديثه مع الرجل، ولكن أبي لم يلتفت اليّ ولو لمرة واحدة، وكأنه يجهل تواجدي هناك، أو أنه يتفادى النظر اليّ، حتى لا يفسد المفاجأة التي حضرها من أجلي.

ذهب الخوف عني، واحتلني مكانه الفضول والرغبة في معرفة مفاجأة أبي، وبعد مدة قصيرة، لاحظت أن الرجل سحب هاتفه، وقام بإجراء مكالمة مع أحدهم، وبعد انتهاء المكالمة بدقائق أتى السائق الذي أوصلني الى هناك، ودخل رفقة أبي والرجل الأخر الى البيت المهجور ثانية.

لم أفهم شيئا حينها، واختلطت علي الأمور، خصوصا لما اقترب وقت الغروب، وفكرت في خليل الذي كان ينتظرني في البيت، والقلق الذي سينتابه عند غيابي، وخاصة اذا حاول الاتصال بأمي التي ستعلمه بمغادرتي للبيت منذ وقت الظهيرة، وفي هذه الحالة ستقلق أمي أيضا، وربما قد أعلمهما أبي بالمفاجأة التي سئمت منها و بدأت بإخافتي بحلول الظلام.

وبينما كنت أسأل نفسي وأجيب، خرج الرجلان واتجها صوب السيارة التي كنت فيها، بينما لمحت والدي واقفا عند باب البيت واضعا يديه في جيب معطفه، ثم غادر المكان متخذا طريقا آخر غير الذي أتيت منه.

وصل الرجلان الى السيارة، وقاما بإخراجي منها وسط صراخي الذي عم المكان، لكن دون مجيب أو ملب للنداء، فقام السائق بإغلاق فمي بشريط لاصق، والأخر أحكم تكبيل يداي ورجلاي، رغم مقاومتي الشديدة الا أنهما نجحا في السيطرة علي، و ساقاني الى البيت المهجور.

لم تكف عيناي عن سكب الدموع، ولم أتوقف عن رفس الأرضية، كعصفور ذبيح ينتظر رقيّ روحه الى السماء، لم أشأ تفويت أية فرصة قد تحررني من تلك القيود، لكن باءت محاولاتي للخلاص بالفشل، فاتكأت على الأرض بعد أن خارت قواي، تذكرت صورة أبي وهو واقف أمام السيارة، ولم يحاول تخليصي، ولم يقدم لي تفسيرا لكل هذا على الأقل، كيف طاوعت له نفسه بأن يتركني وحيدة مع وحشين بشريين؟ ما الذي يسعى اليه يا ترى؟

أغمضت عيناي لأريحهما قليلا، بعد أن انتفختا من شدة البكاء، فظن الرجلان بأنني قد استسلمت للنوم.

- وأخيرا نامت وكفت عن الرفس كالفرس الجامحة.

- المسكينة كانت خائفة طوال الطريق، لم أستطع اجابتها عن أسئلتها، لولم أكن مرغما ومضطرا لما استسلمت وفعلت بها كل هذا.
- هل مرض ابنك هو السبب؟

- نعم فابني مريض، فهو يعاني من قصور كلوي، وأخبرني الطبيب بوجوب اجراء عملية زراعة كلى، وفي أسرع وقت أيضا، والمصاريف اللازمة لعلاجه أكبر من طاقتي، وأنا مجرد سائق، لم يكن لدي خيار أخر، فالتضحية بشخص أخر كان خياري لانقاض ابني، فوالد هاته الفتاة علم بحاجتي، ووعدني بأن يتكفل بإرسال ابني للخارج لتلقي العلاج واجراء العملية، مقابل جلب ابنته الى هنا، وانتظار أوامره التي سنتلقاها في وقت لاحق، ألم يخبرك ما الذي سيفعله بالمسكينة؟
- سيقوم بقتلها من أجل استخراج الكنوز، هذا ما أخبرني به منذ ساعات، فقد قمنا بالتفاوض واتفقنا في الأخير مقابل نسبة معتبرة مما سنناله وراء هذه العملية.

- تبا، يقتل فلذة كبده! أنا أجاهد وأعرّض نفسي للسّجن من أجل انقاض ابني، وهذا المعتوه يضحي بابنته من أجل المال، كم أحتقر هذه الدنيا.
- انه ليس والدها الحقيقي، هو أخبرني بأنه زوج أمها، فمن أجل الثراء كل شيء مباح يا صاحبي.
- الحقير، لو كان أبوها الحقيقي لما طاوعه قلبه التفريط بابنته من أجل كنوز الدنيا، كم هذا مؤسف.
- تأخر الوقت هيا بنا الى النوم، غدا يوم طويل، سيذبح الأب ابنته ونستخرج الكنوز، ونصير من الأغنياء يا رجل.
- غفرانك ربي، أنا رجل ضعيف، انقض لي ولدي يا رب ولدي.

كم آلمني ما سمعت، كم تقطع قلبي عند كل كلمة تفوه بها الرجلان، من الصعب أن تكتشف أن من اعتبرته والدك وسندك طوال تلك السنوات، بأنه مجرد قناع يرتديه من كان بالأمس والدي، ذلك الرجل متجرد من الانسانية والرحمة، فقد قرر قتلي من أجل الكنوز، لو كنت ابنته لما فرط بي، و كيف سولت له نفسه

أن يفعل بي هكذا؟ أنا التي عاملته كوالد حقيقي لي، وهو بدوره لم يحسّسني ولا للحظة بأنني غريبة عنه، ولم أحس أبدا بأنه غريب عني.

لم أستطع النوم ليلتها، ولم أتوقف أبدا عن البكاء، ولا التفكير في الغد الذي كنت أعلم جزءا مما سيحدث فيه، أعلم أنها أخر ليلة لي في هذه الدنيا، ولن أتمكن من توديع أمي، وتقبيل يدها لأخر مرة، ولا توديع خليل رفيق دربي، ولن أتمكن من تحقيق أمنيتي بأن أصبح عالمة بيولوجية، ولن أخدم وطني باجتهادي، كل هذا تبخر في لحظة طيش وجشع الرجل الذي قام بتربيتي، ذلك الرجل الذي أقنعت نفسي يوما ما بأن أجعله والدا لي مكان الذي هجرنا وتركنا أنا و والدتي.

لمعت أول خيوط الفجر، وبدأ النور يزيح ظلام الليل، ويكشف عن نور قد بدأ بالانتشار في أرجاء الأرض، بحرقة شديدة استقبلت يومي، يا ليتني أستفيق من هذا الكابوس، وأكتشف أن كل الذي عشته كان حلما، ليت أمي توقظني الآن من غفوتي، وتمسح على رأسي لتخبرني بأن الوقت قد تأخر، وأن خليل ينتظرني عند باب

البيت، ليصطحبني الى منزلنا الجديد، وأودّع أبي بقبلة على الجبين، وأمي بتقبيل يدها، كما كنت أفعل كل يوم، لكن للأسف كل ذلك لم يكن حلما.

رن هاتف الرجل، ليتبين أن المتصل زوج أمي الحقير، و لما انهى المكالمة، أمر السائق بأن يجهز السيارة، فهو قد أمده بعنوان، وأمرهما بالتوجه اليه.

تعاون الرجلان على حملي الى السيارة، وانطلقا بي الى المكان الذي سألقى حتفي فيه لامحالة، فلم يتبقى الا دقائق وأفارق هذا العالم، دون علم أحد ودون توديع أعز الناس لدي.

شعرت بتخدير في ساقاي، وببرودة اجتاحتني من رؤوس أصابع قدماي، الى أعلى رأسي، لعله انخفاض السكر في دمي، فأنا لم أتناول أي شيء منذ صبيحة يوم أمس، أغمضت عيناي ونمت، واستفقت على صوت اغلاق أبواب السيارة، حاولت رفع رأسي لأرى المكان الذي وصلنا اليه، فلم أصدق عيناي، انه نفس المكان الذي طلب مني الغريب الذهاب اليه، والذي قادنا بنفسه اليه أخر مرة.

كان زوج أمي واقفا من بعيد رفقة الرجلين، وكأنه يشرح لهم العملية التي سيقومون بها سويا، ثم أشار بأصبعه نحوي، فأتى السائق يهرول نحو السيارة، ربما هي النهاية هذا ما أحسست به حينها.

عندما وصل السائق الى سيارته، نزع الشريط اللاصق من على فمي، وسألني عن مكان الكتابين وأنبوب الدم، وبدأ بالاعتذار وبالبكاء وطلب مني أن أسامحه، لأنه مضطر للانصياع لأوامر زوج أمي، لانقاض ابنه المريض، لم يكن لدي ما أقوله له، أو ما أجيبه عليه، فكيف لي أن أسامح من شارك في احتجازي، وسيشارك في قتلي بعد لحظات، فنجاتي منهم أمر ميؤوس منه تماما، التزمت الصمت وأشحت بوجي عنه الى الجهة الأخرى.

عندها أخذ السائق حقيبة يدي، رغم صغر حجمها الا أنه لم يفوت عليه فرصة البحث فيها، ولما لم يجد ما يبحث عنه، توجه الى صندوق السيارة، أين تقبع حقيبتي التي تحتوي على الغنيمة التي ينتظرها ذلك الحقير، فأنا أجزم بأنه قد انتهز غيابي عن البيت، وفتش في أغراضي ونبش في أسراري التي كنت أحتفظ بها منذ

التقائي بالغريب، ثم انتظر عودتي من السفر، ليفترسني من أجل المال، فهو يدرك الأن بأنني المختارة لأرث الكنز، أما هذا العنوان فهو أكيد قد وجد الورقة التي أرسلها لي الغريب وسط الكتاب، فالكتابان كانا بحوزته طوال فترة غيابي، تبّا كم كنت ساذجة وغبية، كيف خدعني بلطفه واستطاع اخفاء حقيقته علينا كل تلك السنوات؟

هرول السائق باتجاه زوج أمي، حاملا حقيبتي بين يديه، فالتقطها منه حال وصوله اليه، و أفرغها من محتواها، ليسقط الكتابان والأنبوب بين يديه الحقيرتين، و في تلك اللحظة أمر الرجلين بإحضاري اليه، وعلى الفور نفذا أمره، وقاما بإلقائي تحت قدميه، مقيدة و ضعيفة لا حول لي ولا قوة، لم يكن بوسعي فعل شيء سوى الدعاء، الذي لم يفارق شفتاي يومها، فحتى الصراخ لم يكن ليجدي نفعا في تلك الأرض القاحلة.

جلس زوج أمي على ركبتيه وانحنى اليّ برأسه، وبدأ يرمقني بنظراته الخبيثة، ويميل رأسه يمينا وشمالا، وكأنه حيوان مفترس يتفحص فريسته قبل التهامها.

- هل تريدين أن يضيع الكنز من بين أيدينا، حرام يا ابنتي، لكن أعدك بأن لا يدوم ألمك لوقت طويل، سينتهي كل شيء في مدة قصيرة.
- تبا لك، لا تقل ابنتي أيها الحقير، لقد خدعتنا طوال السنوات التي مضت، أعترف أنك ممثل بارع، لكن ستدفع الثمن غاليا أعدك بذلك.
- سأدفع الثمن! بالعكس سأجني من الخير الوفير، فترانيم دمك فوق هذه الأرض المباركة، ستخرج الكثير من الكنوز عزيزتي، أحمد الله أنك لستي ابنتي التي من صلبي، والا اضطررت الى تكليف غيري بهذه المهمة، فمن الصعب على الأب بأن يقوم بقتل فلذة كبده، لا تحسبيه هينا أبدا، وخصوصا بهذه الطريقة.
- لن تحصل على أي كنز، وهذا ما يجعلني سعيدة، لأن كلمة السر تنقصك لإكمال مهمتك، لقد تسرعت بكشف وجهك الحقيقي قبل حصولك عليه، للأسف لقد تسرعت كثيرا، غير أن احتقاري لك في تزايد مستمر.

- لم يغب عني ذلك، لقد درست الكتابين بدقة، ومن الممكن أكثر منكما أنت وخليل، ومن الواضح من كلامك أنكما لم تكملا قراءة الكتابين، أو بالأحرى استكمال شرح الكتاب الأول، لكنني أطمئنك بأنني اكملته عوضا عنكما، فالكتابان قد قاما بإهدائي الشيء الذي غاب عنكما، فكلمة السر بحوزتي الآن، ويدك السحرية التي ستجعل دم الأنبوب سائلا معي كما تعلمين صغيرتي، أما القربان العزيز الذي سأضحي به فهو أنت، وهذا معناه أن كل شيء جاهز للبدء في العمل.

وبدأ في اطلاق ضحكات هستيرية، وهو يمرر أصابعه على رقبتي، ثم أمر رجاله بأن يشدوا وثاقي، وأخرج من جيبه السكين، بينما كان ممسكا أنبوب دم الغريب بيده الأخرى، فأخذت بالتشهد والدعاء، وأنا مستسلمة تماما لقدري المحتوم، مستعدة لتنفيذ الحكم علي من أحقر الوحوش البشرية على الاطلاق.

وعندما هم بذبحي، انطلق صوت غير بعيد منا، وفي نفس الوقت غير غريب على مسامعي، آمرا اياه بالتوقف وبالابتعاد عني،

ذعر الرجلان ظانين بأنه صوت الشرطة، وأن أمرهم قد انكشف، فارتبكا وخفّت قبضتهما على جسدي.

بينما وقف زوج أمي، وبدأ بالدوران حول نفسه، باحثا عن مصدر الصوت، واستمر الصوت بالاقتراب وازداد معه عدد المنادين من حولنا، دون ظهور أي شخص، واستمر الصراخ الجماعي وكأنه نابع من خمسين شخص على الأقل، لكن الغريب في الأمر أننا كنا الوحيدين في تلك المنطقة، ولا أثر لأي انسي غيرنا هناك.

أربك الصراخ زوج أمي ومساعديه، فحاولوا الهرب لكن دون جدوى، وكأن أرجلهم قد تسمرت مكانها، فبالرغم من كل محاولاتهم في حمل أرجلهم، والتخطي بها بخطوة على الأقل الى الأمام، لكنهم لم يفلحوا في ذلك، بينما أحسست أنا بأن هناك من يقوم بفك وثاقي، كائنا من كان، فأنا ممتنة وشاكرة له على صنيعه، وانقاضه لحياتي، والشيء الذي كنت متأكدة منه أن منقضي لم يكن وحيدا، فتلك الأصوات لم تكن لشخص واحد.

التفتّ ورائي فلم أجد أحدا، وهذا ما زاد من رعب زوج أمي والرجلين الأخرين، ولم أكن أقل منهم رعبا حينها. حاولت

النهوض لكنني لم أستطع، بسبب القيود التي كبلوني بها، منذ ليلة البارحة، فامتدت يد لتساعدني على الوقوف، واذا بي وجها لوجه مع الغريب، انه هو بشحمه ولحمه واقف أمامي، كصرح شامخ لا تهزه أية ريح، استطعت الوقوف وأنا مستندة عليه، بينما تجمد الرجلان وذلك الحقير في أماكنهم، وكأن الشيء الوحيد الذي بقي على قيد الحياة من أجسامهم، هي رؤوسهم العاجزة عن الهرب، ولكن لم تعجز أبدا عن ابداء الخوف الذي يعتري كل واحد فيهم.

- كيف وجدتّني؟ سألت الغريب.
- أنا لم أفقدك حتى أجدك! لقد أخبرتك سابقا بأنني أتتبع خطواتك خطوة بخطوة، وكنت متأكدا أيضا بأنه لن يتركك بسلام.
- اذا كنت على علم بما أراد أن يقدم عليه، وعلى نيته التي جعلته يفكر في التضحية بي.
- نعم بالطبع كنت أعلم، وهو الشيء الذي جعلني أتركك بين أيديهم البارحة، دون ابداء أية ردة فعل مني، أردتك فقط أن تكتشفي وبنفسك حقيقته، علمت أنه سيقوم بإسقاط

جميع أقنعته أمامك، فلولا فعلته هذه لما صدقتني لو قمت بتنبيهك منه.

- فعلا، لم أكن لأصدق أي أحد، لقد كان بالنسبة لي كأب مثالي، لم يحدث وأن اختلفنا في أي موضوع، كان أبا ممتازا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، حيث أنني نسيت أنه زوج أمي، وأنه ليس أبي الحقيقي، لكنني أبدا لم أشك ولا للحظة بأبوّته اتجاهي، ولا بمحبته لي، لعل هذا الأمر جعلني أتألم من الصدمة التي سببها لي بفعلته هذه.
- أود اخبارك بأمر أخر، لقد تستر عليه وأخفاه عليكما أنت وأمك طوال السنوات التي أمضيتموها وأنتم تحت سقف واحد معه، أمر يخص والدك الحقيقي.
- أبي! هل تعلم مكانه؟
- سبب ترك والدك للبيت هو تهديد هذا الرجل له، لقد كان أباك متورطا معه في أعمال غير قانونية، من رشاوي وتهريب لمواد منتهية الصلاحية، واعادة تزوير التواريخ عليها، وعندما تنبّهت الشرطة لذلك، وفضح أمر شحنتهما، قام هذا الرجل بتهديد والدك، وعرض عليه

قبول حل من الاثنين، اما أن يذهب ويعترف للشرطة بذنبه، ويحمل القضية على أنه المذنب الوحيد، أو أن يقتلك أمام عينيه، فلم يكن لديه خيار سوى الاستسلام له، فالتورط في مثل تلك الأمور لم يكن سهلا، وغالبا ما تكن عاقبته مأساوية، وعند قبول والدك بعرضه الأول، وعده بأن يخلصه من القضية في أسرع وقت، باعتباره محام وذو نفوذ.

- وماذا حدث لوالدي؟ ألا يزال في السّجن، أم أنه أنهى عقوبته وغادر البلاد؟
- لا، فقد أمر بقتله في السجن، مخافة أن يضعف ويفضح أمره، وينتهي مستقبله المهني، ويصبح سجينا لمدة لا يستهان بها، فهو أدرى بالقانون من غيره.

اعترتني رغبة بالبكاء و الانتقام من قاتل أبي، بل تمادى به الجشع ليفكر في قتلي من أجل المال أيضا، لم أستطع رفع رأسي من أثر الصدمة، لم يكن ذلك بالشيء الهين، فكل ما سمعته لم يكن متوقعا من رجل لم يترك وراءه أي خطئ قد يجعلنا نشك فيه أو في نواياه اتجاهنا، وحتى جريمته الشنعاء التي ارتكبها في حق أبي، لم يدع

لرائحتها أي ثغرة لتفوح منها طوال تلك السنوات التي مضت، لقد تجرّد هذا الرجل من انسانيته التي كان يتصنع بها، كممثل محترف وبارع.

- فيم تفكرين؟
- بالانتقام طبعا، كيف لي أن أترك قاتل أبي دون عقوبة؟
- و كيف ذلك؟
- لا أدري، لكن لابد أن أفعل شيئا يطفئ النار التي بداخلي، فهذا الرجل قد حرمني من والدي، وأنا أريد أن أحرمه من حياته.
- طلباتك مجابة عزيزتي، ليس عليك الا المشاهدة.

وفي تلك اللحظة، ظهر جيش من الجن، يحيطون بنا من كل ناحية، منظر مرعب لا يوصف من شدة هوله، وأدركت حينها بأنهم المسؤولون عن ذلك الصوت الذي صم آذاننا منذ قليل، وعم المكان بالصراخ والنداء، فهم أتباع الغريب، فهو الانسي الجني، الذي ينتمي الى عالمنا بنفس درجة انتمائه الى عالمهم.

أحاط معشر الجن بالرجال الثلاثة، ثم اختفوا واختفى السائق ومساعده معم، وبقي زوج أمي متسمّرا في مكانه، فاتحا فمه من هول ما رأته عيناه، فلا الهرب كان متاحا له، ولا مصيره كان معروفا بالنسبة له.

التفت اليّ الغريب مبتسما، وأشار الى زوج أمي قائلا: هنيئا لك بالقربان عزيزتي.

مسحت الدموع التي لم تكف عن التساقط يومها، وسرت متجهة اليه، وأخذت أنظر في عينيه، والحرقة تمزق قلبي.

- كم هو غريب أمر هذه الدنيا! أحضرتني الى هنا لتقتلني، وها أنا ذا على وشك القضاء عليك، وتخليص البشرية منك الى الأبد.
- أنا أرجوك يا ابنتي، لا تصدّقي ما قاله هذا الرجل، انّ غايته التفريق بيننا، ومنحك سببا لقتلي، لقد سمعت ما قاله منذ قليل، لقد قال هنيئا لك بالقربان، كذب عليك بتلك القصة، فأنا لم أقم بقتل والدك ولم أقابله ولا مرة في حياتي، انه يكذب يا ابنتي.

- لا تقل ابنتي، اياك أن تعيد لفظها ثانية، تشهّد على روحك، فلم يتبقى الكثير من وقتك لتضيعه في التمثيل علي، انتهت مسرحيتك وموتك سيكون آخر مشهد فيها.

حاولت قتله لكنني لم أستطع، لم يكن سهلا علي قتل انسان بكل تلك البساطة التي كنت أظنّها، رغم رغبتي في الانتقام الا أن انسانيتي وثقافتي منعتاني من ذلك، كيف لإنسان عاقل أن يقتل آخر بكل برودة دم، ودون شفقة أو رأفة؟

عندما لاحظ الغريب عجزي، أخبرني بأنه سيتكفل بأمره، وقبل أن نباشر اجراء المراسيم اللازمة لاستخراج الكنوز، نبهني الى نقطة مهمة، أخبرني بأنه حال استكمالنا لكل تلك المراسيم و الطقوس، فان الأرض ستفتح بابها أمامي، ولكن يتوجب علي التزام الصمت عند دخولي الى هناك، ويمنع عني الكلام تماما، مهما رأيت بالداخل، فلو حدث وان تكلمت فسأجد نفسي خارجا، ويختفي الكنز، ويذهب كل تعبنا هباء منثورا.

وأعلمني بأن وجهتي تنتهي بانتهاء الممر الذي سأسلكه عندما تفتح الأبواب أمامي، وأمرني بالسير دون ابداء أية ردة فعل قد

تجلب انتباه سكان ذلك العالم الي، فلو حدث وان فعلت، فانهم لن يدعونني أخرج من هناك بسلام، فالعالم الذي سأدخل اليه ليس مسالما كما قد يبدو لي، وأمرني بالمشيء عبر الطريق مباشرة، وأنني سأجد بيتا في أخر المطاف، وطلب مني أن أحضر له الشيء الذي سأجده أمام باب ذلك البيت مهما كانت صفته، ومهما كان حجمه أو نوعه، معلما اياي بأن أحافظ على رباطة جأشي، وأن أثق به فلا الخوف في صالحي، ولا الكلام حليفي في ذلك المكان.

بدأت في سكب دم الغريب تدريجيا من الأنبوب، فأخذت دماؤه تتقاطر على الأرض قطرة تلو الأخرى، وهو مستلق على الأرض، ثم بدأ بالتخبط والارتجاف ، وكأنني أجهز عليه بذلك، لا أظنه يتألم لعله طقس من طقوسه لإنجاح العملية، لو علمت بأنني سوف يؤذيه ذلك لما أكملت ما بدأت فعله للتو، وأنا أتلو كلمة السر التي وشمت على ذراعه، والتي ذكرت بالكتاب الخاص به في أخر باب منه، ثم قدّمت القربان المتمثل في زوج أمي كنوع من الانتقام الذي اعتبرته أمرا عادلا ومنصفا لي.

عند استكمالي لكل تلك الطقوس، فتح أمامي باب وسط تلك الأرض المباركة، لم يكن علي الا الدخول الى هناك، واتباع الطريق التي يؤدي اليها ذلك الممر، لأكتشف ما ينتظرني هناك، وأنا أحكم الاطباق على فمي، ملتزمة الصمت كما أمرني الغريب.

دخلت عبر الباب، ومشيت عبر الممر، واذا بي وسط سوق مأهول بالتجار والمارة، وممتلئ بالسلع المعروضة أمام كل بائع، وكأنني في سوق عادية وسط مدينة ما، لم يبدو لي أي غرابة قد تلفت انتباهي، الا حيرتي وانبهاري بذلك العالم الذي كان مخفيا تحت الأرض، وتساؤلي حول مدى حقيقة ما أرى أمامي من أشياء ومن أناس، وكأنه حلم أو خيال قد اندست بداخله، أو أنه عالم حقيقي يقبع تحت الأرض، قد اكتشفت وجوده وحظيت بالدخول والتجول بين أزقته.

أكملت سيري كما أخبرني الغريب، عبر ذلك السوق، الى أن انتهى بي الطريق الى بيت أصفر اللون، يلتف أمام بابه ثعبان غليظ، كانت عيناه مغمضتان، وكأنه نائم أو أنه يوهم الزائرين

بذلك، فعلى الأرجح كان يحرس ذلك البيت، أو بالأصح كان يحرس ما بداخله.

نزعت معطفي ورميته فوق ذلك الثعبان، ولففته جيدا وأحكمت الاغلاق عليه، وقد نال مني الخوف و الرعب وأنا أقاوم خروجه، احكمت حبسه داخل ذلك المعطف وهو لم يكف دقيقة عن الحراك، فسحبته جانبا لأتمكن من الدخول الى ذلك البيت.

فتحت الباب ودخلت، واذا به مضاء ببريق الأحجار الكريمة باختلاف ألوانها وأنواعها، وسبائك و قلائد ذهبية، و عملات فضية كبيرة الحجم، وأخرى ذهبية مختلفة الأحجام والأوزان، لم أعرف من أين أبدأ جمع الكنز، وماذا أجمع من كل هذا، وتمنيت حينها لو أن خليل كان معي، لكنا جمعنا أكبر قدر منه.

جمعت الكمية التي أستطيع حملها داخل الأكياس التي وجدتها ملقاة هناك، ولم أترك أي مكان في ملابسي الا وبه كمية لا يستهان بها من ألماس وذهب وفضة، وعندما حان موعد مغادرتي لذلك البيت، عزّ علي ترك كل تلك الكنوز وراء ظهري، ومغادرة ذلك المكان دون رجعة، ثم قاومت طمعي وخرجت بتلك الكمية التي

استطعت أن أجرّها خارج البيت بصعوبة، دون أن أنسى جر معطفي الذي يحوي الثّعبان، لآخذه معي خارجا كما طلب مني الغريب، وسرت في الطريق التي أتيت منها والصمت يطبق على فمي، وعندما وصلت الى السوق، لاحظت اختلافا كبيرا قد عم المكان، لم يكن كما تركته عند دخولي أول مرة، اختفت السلع وحل مكانها جمر أحمر يشتعل نارا، وأما الباعة فقد كانوا مخيفين لدرجة رهيبة، كل واحد فيهم يشبه الشيطان في شكله، لقد كانت لهم قرون طويله، وهم سود البشرة كالفحم تماما، كان منظرهم يجبرني على الصراخ، لكن خوفي من أن أضيّع تعبنا وخسران الكنز جعلني أكتم صراخي بداخلي، وأقاوم خوفي منهم، فلم يبقى الكثير وأخرج من هناك مع الكنز، وكلما شعرت بالخوف قمت بالسير وعيناي مغمضتان، وأفتحهما عند احساسي بذهاب الرّوع عني، الى أن استطعت بلوغ الباب الذي دخلت منه.

خرجت من هناك وقد أثبتّ نجاحي في الاختبار، وكان الكنز هدية نجاحي في ذلك، وعندما صارتا رجلاي خارجا، ملامستان للأرض المباركة، اختفى ذلك الباب مغلقا دفاته على عالم غريب، لم يسمع به أحد، ولم يره أحد غيري في ذلك اليوم.

جلست على الأرض مرخية رجلاي، وأنا أحس بالإنهاك الجسدي والمعنوي، وأخذت أمسح المكان بنظراتي باحثة عن الغريب، لأجده مرميا على الأرض، وكأنه ينازع الموت، أسرعت اليه وأخبرته بأنني نجحت في اخراج قدر لا يستهان به من الكنز، فابتسم وأخبرني بأنه كان متأكدا من نجاحي في المهمة، وأنه لم يخب ظنه بي، فأنا شجاعة بنظره ولم أثبت عكس ذلك منذ أن عرفني، بدأت روحه بمغادرة جسده، لم تكن معرفتي بالغريب قديمة العهد، على الأقل من ناحيتي، لكنني شعرت بأنني على وشك فقدان انسان عزيز على قلبي، لم تكن كلماتي لتعبر حينها، عن حجم المشاعر التي فاضت وتهاوت على شكل دموع، معبّرة عن جزء ضئيل جدا عما يجول في خاطري لحظتها، أخر ما قاله لي الغريب قبل مفارقته للحياة، *الثعبان هدية مني اليك*، ثم فاضت روحه لترتقي الى السماء وتقابل خالقها، ثم لم يلبث طويلا واختفى، كما أشار اليه الكتاب الذي أهداني اياه، اختفى الغريب من أمامي وكأن كل شيء عشته يومها كان حلما، وكأنه لم يكن أمامي أبدا، وكأنني لم يحدث وأن التقيت به يوما ما.

استجمعت قوتي ومسحت دموعي المتساقطة على وجهي الشاحب، واتجهت صوب كنزي، والثعبان الملفوف داخل معطفي، وفتحت هدية الغريب الأخيرة، لأجد الثعبان قد تحول الى ألماس، بل الى كمية مذهلة من الألماس الأبيض البراق، كم كان ذلك المنظر سحريا ومدهشا.

قمت بجمع الكنز في السيارة، التي جلبني الرجلان بها الى ذلك المكان، وغادرت المكان تاركة ورائي ذكرى لا تنسى، وقصة لا يمكن لأحد أن يصدقها، متجهة الى أمي وخليل، لأهدئ من روعهما وقلقهما وأقص عليهما سبب اختفائي.

وعندما وصلت الى بيتنا، وجدت خليل بانتظاري مع أمي، ولم يكن هناك أي خوف أو هلع بهما، وبعد أخذ قسط من الراحة، بدأت في سرد القصة عليهما، ولم أنسى أي جزء منها، جعلتهما يعيشان كل جزء من مغامرتي منذ أول دقيقة غادرت بيتنا فيها، الى الدقيقة التي عدت فيها اليهما.

انهارت أمي وأخذت بالبكاء والعويل، فالصدمة لم تكن هينة عليها، فالرجل الذي أمضت جزءا من حياتها معه، لم يكن الا قاتل

زوجها الأول، وكاد أن يقتل ابنتها الوحيدة لولا ستر الله وحفظه، فسخّر الغريب لإنقاضي يوم قرر قتلي والتخلص مني من أجل الكنز.

لم يكن خليل أقل صدمة من أمي، لقد كان على وشك فقداني الى الأبد، ثم بدأ بالتخفيف عن نفسه بالمزاح.

- كيف تدخلين الى ذلك العالم دون محرم؟ هل نسيتي بأنك امرأة متزوجة؟
- لم يكن لدي خيار أخر عزيزي، وتمنّيت لو أن الظروف كانت مناسبة لنكون معا عند الدخول الى هناك لجمع الكنز.
- الحمد لله على سلامتك عزيزتي، أنت كنزي الذي لا يقدر بثمن.
- ألا ترغبون برؤية الكنز؟ هيا الى السيارة فهناك ما يكفي لأن نحقق جميع أحلامنا، دون الحاجة الى أحد.

بعد مرور عدة أشهر، قمنا بشراء بيت جديد، يسعنا جميعا فنحن على وشك أن نرزق بتوأم، هكذا أخبرتني الطبيبة التي تتابع

حملي، فذاك الاحساس قد زاد من سعادتي، وأصبحنا نعد الأيام لاستقبال أطفالي.

رزقنا أخيرا بتوأم، سميتهما *أدم و ريم*، وحمدت الله على صحتهما، كنت خائفة طوال حملي بأن أرزق بطفل يحمل عينا مخالفة للأخرى في لونها، كالغريب الذي لم أنسه ولا دقيقة.

عدت الى العمل بعد انقضاء عطلة الأمومة، وبينما كنت في سيارتي متجهة الى العمل، اذا بي ألمح السائق الذي كلفه زوج أمي باختطافي قبل حوالي عام، فقمت بتتبع سيارته الى أن عاد الى منزله، لم أقاوم رغبتي في قرع الباب عليه، ففتحت لي امرأة هي على الأرجح زوجته، سألتها عن حالها، فأخبرتني بأن زوجها قد غاب فترة عن البيت، وعند عودته لم يكن طبيعيا، عاد أخرسا لا يستطيع الكلام، وأنه يعمل طوال اليوم ويقوم بتسليمها ما يجنى من عمله عند عودته الى البيت، ويكتفي بأكل القليل من اللقيمات ليتجه بعدها الى النوم، سألتها ان كان لديها أبناء، فأخبرتني بأن لديها ابن مريض، وهو مقيم بالمستشفى، فحالتهم المادية لا تسمح لهم بالاعتناء به، وأن مكوثه بالمستشفى أفضل له.

أخدت العنوان منها واتجهت الى ذلك المستشفى، وقمت بالتكفل بجميع المصاريف اللازمة لإجراء العملية خارج الوطن، وتجهيز بيت السائق بكل المستلزمات لاستقبال ابنهم بعد العملية، وبالفعل تمت العملية بنجاح، وعاد الابن بخير الى أحضان أبويه، بعد فترة قضاها في المستشفى للمعاينة وتتبع ما قد تخلفه العملية من مضاعفات.

غمرت السعادة بيتنا، ولم نشتكي من أي شيء قد ينغص علينا فرحتنا، فأمي معنا و خليل وطفلاي، كانت تلك هي الأسرة التي حلمت بتكوينها، وبالعيش في كنفها الدافئ بالمحبة، نحقق أحلامنا الواحدة تلو الأخرى، ونحمد الله على كل نعمه علينا.

وفي يوم من الأيام، وبينما كنت في المخبر، منهمكة في تجاربي واذا بي أجد الأنبوب الذي يحتوي أخر قطرات من دم الغريب، بين أغراضي التي خبّأتها منذ ذلك اليوم، واحتفظت بها بعيدا عن بيتنا، فراودتني عدة أفكار، فأسرعت بالأنبوب وألقيته في جهاز الطرد المركزي، لأستخلص مصله وأتجه به الى فئران التجارب خاصتي، وحقنت احداها بذلك المصل، و يا ليتني لم أفعل.